مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

سلطنة ديماك الإسلامية

(٨٨٣-٩٧٥هـ/١٤٧٨-١٥٦٨م): دراسة في الأوضاع السياسية وبعض المظاهر الحضارية

د. مسعود محمود علي عبادي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2023.247148.1793

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٨) يناير ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكترونى: https://qarts.journals.ekb.eg

سلطنة ديماك الإسلامية (٨٨٣-٩٧٥هـ/١٤٧٨-١٥٦٨م):

دراسة في الأوضاع السياسية وبعض المظاهر الحضارية

الملخص:

تعد سلطنة ديماك واحدة من أهم الممالك الإسلامية التي ظهرت في منطقة جنوب شرق آسيا، وقد استمدت تلك الأهمية من عاملين رئيسين: أولهما الدور الريادي الذي قامت به في نشر الدين الإسلامي في جزيرة جاوة ومنطقة الأرخبيل بصفة عامة، واستطاعت أن تسد الفراغ الذي أحدثه سقوط ملقا في يد البرتغاليين عام ٩١٧هـ/١٥١١م. كما أن زعامتها الدينية تلك جعلتها تدخل في صراع عسكري مع هؤلاء البرتغاليين من أجل استعادة ملقا. ورغم أنها فشلت في تلك المهمة إلا أنها نجحت في التصدي للمشروع الصليبي البرتغالي الهادف إلى فرض الهيمنة السياسية والدينية في المنطقة. أما العامل الثاني في شهرة ديماك فيتمثل في سيطرتها على معظم مدن الساحل الشمالي لجاوة، ومن ثم منحها القدرة على التحكم في طرق التجارة. وقد كان للثروة الثروة الكبيرة التي جلبتها التجارة لديماك أن تقوم بدور مهم في زيادة قوة ونفوذ تلك المملكة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية.

الكلمات المفتاحية: ديماك؛ سلطنة؛ الإسلام؛ البرتغاليون؛ التجارة.

المقدمة:

منذ ظهورها ونشأتها مع نهاية القرن ٩هـ/١٥م تمكنت ديماك[١] من أن تتبوأ مكانة كبيرة داخل جزيرة جاوة، وبفضل الجهود التي بذلها مؤسسها رادين فتاح- ذو الأصول الملكية- نجحت هذه المدينة في أن تصبح- خلال سنوات قليلة- مملكة واسعة الأرجاء تشمل معظم مدن جزيرة جاوة، وتفرض هيمنتها كذلك على عدد من مدن الساحل السومطري والأرخبيل. وعلى ذلك فإن ديماك تعد هي أول سلطنة إسلامية نشأت على الساحل الشمالي لجاوة، بعدما تمكنت من أن تزيح مملكة ماجاباهيت وتقضي على ديانتها الهندوسية الوثنية.

وجنبا إلى جنب مع تلك النجاحات والتوسعات السياسية، كان سلاطين ديماك حريصين على حمل الدعوة الإسلامية إلى كل المناطق التي يصلون إليها، ولم يألوا جهدا في إرسال الدعاة إلى معظم مدن الأرخبيل من أجل نشر هذا الدين والتمكين له. وبفضل تلك الجهود أصبحت ديماك هي "قاعدة الإسلام" في منطقة جنوب شرق آسيا خلال النصف الأول من القرن ١٠هـ/١٦م، خاصة بعد سقوط ملقا- صاحبة النفوذ السياسي والديني الكبير- في يد البرتغاليين عام ٩١٧هـ/١٥١١م. لقد استطاعت سلطنة ديماك- لمدة تزيد عن نصف قرن- "أن تصل إلى ذروة نجاحها في الدين والتعليم والثقافة والسياسة والإدارة والاقتصاد والتجارة، مما جعلها حصنا ومعلما للعظمة الإسلامية في جزيرة جاوة

---

[١]عن سبب تسمية "ديماك" يقول البعض إنها مأخوذة من الكلمة العربية "ذي ماء"، وذلك نظرا لوفرة المياه في هذا المكان الذي كان يشتمل على سهول ومستنقعات وحياض تكثر فيها المياه خاصة في موسم المطر. بينما يرى البعض أنها مشتقة من الكلمة العربية "الدموع" وذلك نظرا للجهود المضنية التي بذلها الدعاة المسلمون من أجل نشر الإسلام بين سكان المنطقة الوثنيين. وهناك رأي أخير ينسبها إلى الكلمة الجاوية "داماك" التي تعني الهبة والعطية، وذلك نظرا لأن ملك ماجاباهيت براويجايا الخامس كان قد منح ووهب هذه المدينة لابنه رادين فتاح. انظر: جمال عبد الله المصري، *حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة*، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٨م، ص ٤٦٠.

في العصور الوسطى"[٢]. هذه الأهمية التي باتت تمثلها ديماك لجزيرة جاوة- بوصفها المرحلة الانتقالية ما بين هندوسية ماجاباهيت من ناحية وعظمة وعلو شأن مملكة ماتارام الإسلامية من ناحية أخرى- جعل القصص والحكايات الجاوية تولي اهتماما كبيرا بهذه السلطنة وبحكامها وبفتوحاتها وبرجال دينها (الأولياء)[٣]، وإن كانت تلك القصص لم تخل من بعض الأساطير والروايات الخيالية التي اض فت نوعا من القدسية على حكام وأولياء ديماك.

في هذا السياق تأتي إذا هذه الدراسة لإبراز هذا الدور الرائد الذي قامت به ديماك بوصفها أول سلطنة ومركز حضاري إسلامي في جزيرة جاوة وذلك من خلال الحديث- **في المحور الأول**- عن نشأة هذه السلطنة والتعريف بمؤسسها وبأصوله التي يعود إليها، وبالدور الديني والسياسي الذي قام به الأولياء التسعة "واليسونجو"- الشهيرين والمعظمين في تاريخ جاوة- من أجل التمكين لديماك ولحكامها. هذا فضلا عن ذكر النجاح الذي حقق حكام السلطنة في نشر الإسلام في معظم مدن الأرخبيل. وخصص **المحور الثاني** للحديث عن الأوضاع السياسية ونظام الحكم والإدارة داخل السلطنة، وذلك من خلال التعرض لأهم الحملات العسكرية التي أخرجها حكام ديماك سواء باتجاه السواحل الشرقية والغربية للجزيرة أو في وسط جاوة أو حتى تلك التي بلغت الساحل السومطري، وهي الجهود التي كللت بإقامة مملكة إسلامية واسعة الأرجاء. كما أنه من خلال هذا المحور تم عرض الجهود التي بذلها سلاطين ديماك من أجل مواجهة خطر البرتغاليين المقيمين في ملقا، وأهم النتائج التي ترتبت على هذا الصراع. أما الحديث عن المكانة التجارية المرموقة التي تبوأتها ديماك بوصفها من أهم المراكز التجارية في المنطقة، وأسباب هذا

(2) Abdul Wahid Hasyim, "Demak Sultanate: The Fortress of Islamic Greatness in the Middle Ages Java Island", in *Buletin Al-Turas*, Vol. 27, No. 1, January 2021, P. 6.
(3) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa: kajian sejarah politik abad ke-15 dan ke-16*, Seri terjemahan Javanologi, Grafiti Press, Jakarta, 1985, P. 45.

الازدهار، والعلاقات التجارية التي ربطت بين ديماك وبين الملايويين والسومطريين والصينيين فقد خصص لها **المحور الثالث**. وجاء **المحور الرابع** لمحاولة إلقاء الضوء على مجتمع ديماك من خلال الحديث عن طبقاته وأهم العناصر السكانية التي كان يتألف منها. كما تم الإشارة إلى أهم المؤسسات الدينية والتعليمية التي منحت ديماك شهرة واسعة آنذاك؛ مثل مسجدها الكبير ومدارسها الداخلية. ثم جاء **المحور الخامس** والأخير كاشفا للأسباب التي أدت إلى ضعف سلطنة ديماك وتدهور أحوالها، ثم قيام الملك تينغكير عام ٩٧٥هـ/١٥٦٨م بنقل السلطة والحكم إلى مقر مملكته الجديدة في باجانغ، وهو الأمر الذي أدى إلى فقد ديماك لدور الريادة والزعامة، الذي ظلت تمارسه لفترة زمنية تقارب القرن داخل جاوة.

١. نشأة وظهور ديماك الإسلامية:

أ- تاريخ النشأة وأصول المؤسسين:

رغم أن سلطنة ديماك كانت قد حظيت باهتمام رواة القصص والمؤرخين الجاويين منذ القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي[٤]، إلا أن قضية تاريخ ظهور ديماك كانت ولا تزال مجالا لكثير من النقاشات والاختلافات بين المؤرخين والباحثين. والواقع أنه لدينا عدة روايات مختلفة بخصوص تاريخ هذه النشأة؛ فالبعض يعزو هذا الأمر إلى عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، وهناك من يرى أنه يعود إلى سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، أما الرأي الثالث فيرجح أن النشأة تعود إلى العام ٩١٩هـ/١٥١٣م. وفي الحقيقة كل تاريخ من هذه التواريخ ارتبط بمرحلة مهمة من تاريخ المدينة؛ فعام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م هو الذي شهد ظهور ديماك، ولكن كمدينة يحكمها رادين[٥] فتاح (باتاه) بصفته تابع لملك ماجاباهيت الوثني. أما العام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م فكان بمثابة بداية استقلال ديماك وحاكمها عن نفوذ ماجاباهيت، وقطع علاقاته مع هذه المملكة، التي كانت آنذاك في مرحلة الضعف والتدهور. وبالنسبة للعام ٩١٩هـ/١٥١٣م، ففيه ظهرت ديماك في ثوب السلطنة والمملكة، التي استطاعت أن تفرض سيطرتها وهيمنتها على معظم المناطق المجاورة لها، بحيث إن ملكها أصبح هو الحاكم المطلق للمضيق في جنوب جبال موريا، كما أن المدينة أصبحت تمثل المركز التجاري والديني الأهم في منطقة جاوة وإندونيسيا بصفة عامة[٦].

---

(4) H. De Graaf, *Op. cit.*, P. 45.

(٥) كلمة رادين هي لقب شرفي جاوي، كان يطلق في الأصل على من هو من نسل الملوك والأشراف. انظر: بشار الجعفري، أولياء الشرق البعيد، أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة (رواية تاريخية حول كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(6) Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit.*, P. 5.

مهما يكن من أمر، فبالرغم من أن هذا التاريخ- أي ٨٨٣هـ/١٤٧٨م- الذي ارتبط بتأسيس مملكة ديماك لم تقم دلائل واضحة ويقينية على صحته، إلا أنه أصبح الرأي المعتمد لدى كثير من المؤرخين والباحثين، كما أن هذا التاريخ أصبح راسخا في ثقافة الشعب الجاوي، الذي يريد أن ينشأ حدا وخطا فاصلا في التطور التاريخي لبلادهم بين العصر الهندوسي البوذي القديم الذي يمثله مملكة ماجاباهيت، وبين العصر الإسلامي الجديد الذي يبدأ بظهور مملكة ديماك الإسلامية(٧).

من ناحية أخرى، فإن مسألة "الأصول" التي يعود إليها مؤسسو ديماك وجماعة التجار الذين استوطنوا الساحل الشمالي لجاوة وقاموا بنشر الإسلام وتأسيس العديد من المدن الإسلامية في هذه الجزيرة كان ولا يزال محل نقاش وجدال؛ فحتى وقت قريب جرت عادة الباحثين أن ينسبوا هؤلاء الوافدين إلى عرب شبه الجزيرة العربية أو الهنود المسلمين (الكوجراتيين)، إلا أنه مع نهاية ستينيات القرن العشرين (تحديدا عام ١٩٦٨م) قام المؤرخ الإندونيسي سلامت مولجانا Slamet Muljana بنشر عدة دراسات تدعو إلى إعادة النظر في تلك الآراء، وتذهب إلى القول إن الإسلام الجاوي إنما يعود في أصوله إلى التجار المسلمين الصينيين وليس العرب أو الهنود، وقد اعتمد في رأيه هذا على الروايات والقصص المحلية المبكرة- وبصفة خاصة رواية ماتارام *Babad Tanah Jawi*- التي عرضت لتاريخ الإسلام في جاوة، ثم تابعه في هذا الأمر عدد كبير من المؤرخين والباحثين(٨). والواقع إنه بالنظر إلى الروايات التي وردت في تلك المصادر الجاوية

(7) Taufik Abdullah, *Sejarah Kebudayaan Islam Indonesia (Akar Historis dan Awal Pembentukan Islam)*, Jilid 1, Direktorat Sejarah dan Nilai Budaya, Jakarta, 2015, p. 28, 184.

(8) A. Wain, "China and the Rise of Islam on Java", in *Islamisation: Comparative Perspectives from History*, edited by: A. Peacock, Edinburgh University Press, 2017, P. 419-421; Hendra Kurniawan, "The Role of Chinese in coming of Islam to Indonesia", in *Paramita: Historical Studies Journal*, 27 (2), 2017, p. 240.

بخصوص نشأة ديماك نجد إشارات صريحة إلى هذا الأمر؛ فحكايات حسن الدين *Hikayat Hasanuddin* تشير إلى أن مؤسس المدينة- ويدعى كوكو Cu Cu- يعود إلى أصول صينية خالصة (أي الأب والأم صينيون)، بينما تذهب رواية *Purwaka Caruban Nagari* إلى أن المؤسس- ويدعى جينبون Jinbun- أمه صينية تسمى Siu Ban Ci أما والده فهو آخر حكام مملكة ماجاباهيت، وهذا الرأي هو ما تذهب إليه كذلك الرواية الماتارامية الأشهر والأقدم *Babad Tanah Jawi*، التي تنسب أول حكام ديماك- تسميه جيمبون Jimbun- إلى أميرة صينية تزوجت من آخر ملوك ماجاباهيت، ويضيف هذا المصدر أن هذا المؤسس قد قدم إلى ديماك من بالمبانج[٩]. من ناحية أخرى، هناك مصدر صيني تم نشره مؤخرا- ربما تكون معلوماته مستمدة من بعض المراكز التجارية الصينية/الجاوية القديمة في وسط وغرب جاوة- يشير إلى أن الأميرال

تشير المصادر إلى أن المسلمين الصينيين المقيمين في تشيوانتشو Quanzhou (أو الزيتون كما كان يسميها العرب) الواقعة في مقاطعة فوتشو Fuzhou في جنوب الصين، قد تعرضوا لأذى ومضايقات كثيرة خلال مرحلة الفوضى وانعدام الأمن- في ستينيات القرن ١٤م- التي شهدت نهاية أسرة يوان وصعود أسرة مينج للحكم. نتيجة لذلك اضطر عدد كبير من هؤلاء المسلمين (غالبيتهم من التجار) للتوجه إلى بلاط ماجاباهيت. كما أنه خلال العام ١٣٧٧م ظهر اسم ديماك لأول مرة في سجلات أسرة مينج تحت اسم "دان با" Dan-ba، وهذا الأمر يتماشى مع الرأي القائل بإن المدينة ظهرت في البداية كقاعدة للاجئين المسلمين الذين فروا من جنوب الصين. من ناحية أخرى، قدم آخرون من تشيوانتشو وتشامبا (الواقعة حاليا في جنوب فيتنام، والتي كانت تعد آنذاك جزءا من الممتلكات الصينية الجنوبية) إلى سورابايا وجريسيك وسيريبون، وذلك أواخر القرن ٨هـ/١٤م وبدايات القرن التالي. ولا شك ان تلك الهجرات كانت عاملا رئيسا في تحول جاوة الشرقية والوسطى تدريجيا إلى الدين الإسلامي. انظر:

Peter Sluglett, "The Spread of Islam in Southeast Asia c.1275 - c.1625", in *Middle East Insights*, Middle East Institute, National University of Singapore, N. 55, Mars 2012, p. 3; Geoff Wade, "Islam Across the Indian Ocean to 1500 CE" in *Early Global Interconnectivity across the Indian Ocean World*, Volume II (Exchange of Ideas, Religions, and Technologies), Edited by Angela Schottenhammer, Palgrave Macmillan imprint, Switzerland, 2019, p. 116; Sumanto Al Qurtuby, "The Tao of Islam: Cheng Ho and the Legacy of Chinese Muslims in Pre-Modern Java", in *Studia Islamika*, Vol. 16, No. 1, 2009, P. 69.

(9) A. Wain, *Op. cit.*, P. 430.

(قائد الأسطول) الصيني المسلم الشهير تشنغ هو قد قام بتأسيس العديد من تلك المجتمعات الإسلامية الصينية على الساحل الشمالي لجاوة مع بداية القرن ٩هـ/١٥م[١٠].

وفي هذا السياق، نجد كذلك إشارة واضحة من المؤرخ البرتغالي تومي بيرس إلى أن المدن البحرية على طول الساحل الشمالي لجاوة يعود الفضل في نشأتها وتأسيسها إلى الوافدين المسلمين من التجار والدعاة؛ فهو يقول: "لقد بدأوا التجارة في البلاد وأصبحوا أثرياء، كما أنهم نجحوا في بناء المساجد. وجاء الدعاة *Mollahs* من الخارج بأعداد متزايدة، لدرجة أن أبناء هؤلاء المسلمين *Moors* (نتاج زواج هؤلاء المسلمين بالنساء المحليات) أصبحوا بالفعل مواطنين جاويين أثرياء ..... وفي بعض الأماكن تحول الأمراء الجاويون الوثنيون أنفسهم إلى الملة المحمدية. هؤلاء الدعاة والتجار المسلمون استطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم وحكمهم على هذه الأماكن"[١١]. كما أن البحارة المسلم ماهوان Ma Huan– الذي أرخ لرحلات القائد البحري الصيني تشنغ هو Cheng Ho– كان قد أشار إلى أول مجتمع مسلم في جاوة، وذلك خلال تواجده في المنطقة بين عامي ٨١٨هـ/١٤١٥م و٨٣٥هـ/١٤٣٢م؛ فقد لاحظ وجود ثلاث فئات من الناس في جاوة الشرقية: أولهم المسلمون الذين استقروا هناك قادمين من الغرب (خاصة الهنود)، والعنصر السكاني الثاني هم الصينيون، الذين أصبح الكثير منهم مسلمين بالفعل، وأخيرا السكان الأصليون الذين لم يتحدث عنهم بشكل جيد، فقد وصفهم بأنهم "كانوا قبيحين وقذرين، يأكلون وينامون مع كلابهم ويؤمنون بالشياطين"، وعلى ذلك فقد كان هناك

(10) H. De Graaf, *Islamic States in Java 1500-1700*, Eight Dutch Books and Articles, Springer, 1976, P. 5.

(11) Tome Pires, *The Suma Oriental of Tome Pires: Un account of the East, from the Red Sea to Japan, written in Malacca and India in 1512-1515, and the book of Francisco Prodrigues*, translated from the Portuguese MS in the bibliothèque de la chamber des Députés Paris, and edited by Armando Cartesao, Vol. 1, London, 1944, p. 182.

بالفعل مجتمع مسلم في جاوة خلال النصف الأول من القرن ٩هـ/١٥م، لكن عدد قليل جدا من أعضائه كانوا ينتمون إلى السكان الأصليين(١٢).

مهما يكن من أمر، فإن الروايات والقصص الجاوية- خاصة تلك المستقاة من تاريخ ماتارام في جاوة الشرقية *Babad Tanah Jawi*- تشير إلى أن رادين فتاح هو أول ملوك ديماك الإسلامية؛ ثم تتحدث تلك الروايات عن التاريخ الشخصي لهذا المؤسس، قائلة إنه ولد في مدينة بالمبانج، الواقعة على الساحل الشرقي لسومطرة، والتي كانت سابقا مقرا ومركزا لحكم مملكة سريفيجايا. وينسب فتاح لأميرة صينية مسلمة تسمى جوديس كيم Goddess Kiem- وهي ابنة تاجر صيني يدعى بان هونغ-، التي كانت قد تزوجت من براويجايا الخامس Brawijaya V، آخر ملوك أسرة ماجاباهيت الملكية في جاوة(١٣). وتضيف هذه الروايات أن الزوجة الأولى لهذا الملك تملكتها الغيرة من الأميرة الصينية ورفضت أن تظل مقيمة معها في القصر الملكي، فاضطر براويجايا- المولع بزوجته الأولى- لإبعاد الزوجة الصينية- التي كانت قد حملت منه- بإرسالها إلى بالمبانج، حيث يقيم ويحكم ابنه أريا دامار Arya Damar، وهناك وضعت طفلها

---

(12) H. De Graaf, "South East Asian Islam to the eighteenth century", in *The Cambridge History of Islam*, Vol. 2A, Edited by: P. M. Holt, Cambridge University Press, 2008, P. 130; Sumanto Al Qurtuby, *Op. cit*., p. 62;

توماس أرنولد، *الدعوة إلى الإسلام*، (ترجمه إلى العربية وعلق عليه) حسن إبراهيم حسن (وآخرون)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٤١٨؛ محمد مهر علي، "انتشار الإسلام في شمالي الهند وهضبة الدكن وجنوبي الهند، بنجلاديش، وغربي البنغال وجنوب شرق آسيا والصين"، فصل في: *الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي*، المجلد الأول (انتشار الإسلام)، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص ٢٩٤.

(13) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 49; Kenneth Hall, *A History of Early Southeast Asia: Maritime Trade and Societal Development, 100-1500*, Rowman and Littlefield Publishers, Lanham, Maryland, 2011, P. 283; Hendra Kurniawan, *Op. cit*., p. 244; Agus Susilo, "Peran Raden Fatah Dalam Islamisasi di Kesultanan Demak Tahun 1478–1518", in *Tamaddun: Jurnal Kebudayaan dan Sastra Islam*, Vol. 19, No. 1, Juni 2019, p. 75.

فتاح[١٤]. وهكذا تشير هذه الأسطورة إلى أن فتاح لم ينحدر من بلاط ماجاباهيت فحسب، وإنما ينتسب كذلك إلى مجتمع التجار الصينيين المسلمين، الذين كانوا يقيمون في موانى الساحل الشمالي لجاوة. ثم بعدما أصبح شابا، ترك بالمبانج وهاجر إلى مدينة جريسيك الجاوية، التي كان يقطنها عدد كبير من التجار الصينيين، ثم من هذه المدينة انتقل إلى ديماك، وذلك في النصف الأول من القرن ٩هـ/١٥م. وهناك ذاع صيته وأصبح من أشهر تجارها وأكثرهم ثراء. ونظرا لمؤهلاته وقدراته الشخصية المميزة، فضلا عن كونه يمتلك نسبا ودما ملكيا، فإن والده براويجايا ملك ماجاباهيت– الذي اعترف به ابنا– قام بتعيينه حاكما على ديماك (بينتارا). وبعدما تمكن من تأسيس دولة إسلامية قوية خلال فترة قصيرة، رفض فتاح أن يظل خاضعا لمملكة ماجاباهيت الوثنية، وانضم له العديد من حكام الساحل المسلمين، وبدأت مرحلة من الصراع ما بين سلطنة ديماك المسلمة وماجاباهيت، انتهت بتقويض وانهيار هذه المملكة الهندوسية[١٥]. وبناء على ذلك، فقد وجدنا حكام ديماك يزعمون أن دولتهم هي الأجدر بأن تكون الوريث الشرعي لمملكة ماجاباهيت، على أساس أن مؤسس الدولة– رادين فتاح– كان نتاج زواج آخر ملوك ماجاباهيت من أميرة صينية[١٦].

كما أن بعض الروايات تذهب إلى القول بأن رادين فتاح قد وصل إلى منطقة ديماك بتوجيه من رادين رحمات– ويسمى كذلك سونان أمبيل– (وهو أحد الأولياء التسعة الذين ينسب إليهم نشر الإسلام في جميع أنحاء جاوة) ليقيم هناك مركزا إسلاميا. وقد

---

(14) A. Wain, *Op. cit.,* P. 426; Nur Afidah, "Perkembangan Islam pada Masa Kerajaan Demak", in *Jurnal Studi Islam dan Kemuhammadiyahan (JASIKA)*, Vol. 1, No. 1, 2021, p. 67.

(15) A. Wain, Op. cit., Pp 426-427; Kenneth Hall, Op. cit., P. 283; Abdul Wahid Hasyim, Op. cit., p. 3.

(16) Colin Brown, *A Short History of* Indonesia, Allen and Unwin, Crows Nest, Australia, 2003, P. 36; Peter Sluglett, *Op. cit.*, p. 4.

ظل فتاح فترة من الزمن في بينتارا *Bintara*، ولقب "بأمير بينتارا"، ثم اختار لاحقا العيش في منطقة مفتوحة على الساحل غير مأهولة، وهي تقع في وادي موريا. وقد تميز هذا المكان بخصوبة أراضيه وموقعه الاستراتيجي، نظرا لتحكمه في عملية الإبحار والملاحة على الشاطئ الشمالي لجاوة، وسرعان ما شهد هذا المكان نموا وازدهارا على يد فتاح[١٧]، الذي ذاع صيته بوصفه أحد كبار علماء الدين الإسلامي، وتلميذا لأستاذه رحمات (سونان أمبيل)، وبدأ يفد إلى هذه المدينة الجديدة أتباعه من المجتمع الجاوي والصيني، وفي غضون سنوات قليلة نجح فتاح- بمساعدة علماء الدين الذين يلقبون بالأولياء- في أن يرسخ مكانة الإسلام كدين وكدولة في معظم أرجاء جزيرة جاوة[١٨].

من جانبه، فإن المؤرخ البرتغالي تومي بيرس Tome Pires الذي خصص لديماك الجزء الأكبر من حديثه عن جاوة بوصفها المملكة الأهم في المنطقة- بالرغم من أنه لم يقدم تاريخا محددا لظهور ديماك وتحولها إلى الإسلام، إلا أنه يدعي أن الحاكم في وقته كان السلطان الثالث للمدينة، أما الحاكم الأول- المؤسس الذي لم يذكر اسمه- فقد كان إما تاجرا ينتمي إلى مدينة جريسيك أو عبدا لآخر حاكم وثني لديماك. ويضيف هذا

---

(17) Ali Romdhoni, "Prawoto, The Authority Center of Demak Kingdom Sultanate", in *International Conference on Ummah: Digital Innovation, Humanities and Economy*, 2020, P. 8; Nyong Santosa, "The Myth of Religious Tolerance During the Expansion of Islamic Kingdoms in Java: From Demak Until Mataram", in *Arche: Indonesian Journal of Inter-Religious Studies*, Vol. 1, No. 2, 2012, p. 70; Fitri Annisa, *Kerajaan-Kerajaan Islam dan Peran Para Ulama di Nusantara*, Diajukan Untuk Memenuhi Tugas Pada Mata Kuliah Sejarah Islam Indonesia II, Jurusan Seharah Dan Kebudayaan Islam, Fakultas Adab Dan Humaniora, Universitas Islam Negeri, Bandung, 2016, p. 10;

علوي بن طاهر الحداد، *المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى*، (رتبه وحققه وعلق عليه) السيد محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٥م، ص ٢٣٤؛ بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٥٩.

(18) Ali Romdhoni, Op. cit., P. 8; Nyong Santosa, Op. cit., p. 68; Nur Afidah, ***Op. cit.***, **p. 68;**

بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٥٩؛ محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٥-٢٩٦

المؤرخ أن هذا الرجل لما قدم إلى تلك المنطقة– التي كانت آنذاك ولاية تابعة لمملكة ماجاباهيت– التحق بخدمة حاكم المدينة، ثم نتيجة لجهوده العسكرية ولمهارته وذكائه تمكن رادين من الوصول إلى منصب الحكم في تلك المدينة. وقد نجح هذا الحاكم الجديد من خلال "الغزو وسياسة المصاهرة" في تحويل ديماك إلى مملكة قوية، وتمكن من أن يبسط سيطرته على بالمبانج وجامبي الواقعتين في جزيرة سومطرة[١٩]. والواقع أن نسبة هذا الشخص المؤسس إلى مدينة جريسيك من قبل هذا المؤرخ البرتغالي يؤكد أنه كان مسلما، خاصة وأن تلك المدينة تعد أقدم مركز للإسلام في جاوة الشرقية[٢٠]. كما أنه يعتقد أن يكون هذا الشخص القادم إلى ديماك من جريسيك كان ينتمي في أصوله إلى بلاد الصين، وأنه كان ينتمي إلى طبقة التجار الأغنياء، وبناء على هذا الرأي فإن السلالة الحاكمة في ديماك تنتسب إلى الصين[٢١].

ب–تحول ديماك للإسلام ودورها في نشر الإسلام في جاوة ومنطقة الأرخبيل:

---

(19) Tome Pires, *Op. cit.,* pp. 184-185.

(20) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 48; A. Wain, *Op. cit.*, p. 434;

بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٤٧؛ بوكاتجاندراساس مينا، "تجارة المسلمين البحرية وظهور الإسلام في اندونيسيا"، مقال *بمجلة ثقافة الهند*، المجلد ١٣، العدد ٣، تصدر عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، يوليو ١٩٦٢م، ص ٦٩.

ومن الأدلة على قدم ظهور الإسلام في جريسيك اكتشاف شاهد قبر لامرأة مسلمة تسمى فاطمة بنت ميمون بن هبة الله، التي كانت وفاتها عام ٤٧٥هـ/١٠٨٣م أو ٤٩٥هـ/١١٠١م، وعلى هذا الشاهد كتابات بالخط الكوفي. ويرجح أحد العلماء المختصين بعلم شواهد القبور– ويدعى مكويت Maquette– أن هذه المرأة عربية الأصل من بلاد اليمن. ومثل هذه الكشوفات تعد دليلا على أن ظهور الإسلام ووجود الجاليات العربية الإسلامية على الساحل الشرقي لجاوة كان قبل قيام مملكة ديماك بحوالي ٤٠٠ سنة. انظر: علوي بن طاهر الحداد، *المرجع السابق*، ص ١٢٩–١٣٠؛ بوكاتجاندراساس مينا، *المرجع السابق*، ص ٦٩.

(21) **H. De Graaf, *Op. cit.*, P. 47; A. Wain, *Op. cit.,* p. 422.**

تمكنت ملقا- بفضل ازدهارها السياسي والتجاري- من أن تصبح القاعدة الأساسية لنشر النفوذ الإسلامي في جميع أنحاء الملايو وعلى الساحل الاندونيسي خلال القرن ٩هـ/١٥م؛ فقد كان يفد إليها الطلاب من جاوة وسومطرة لتلقي العلوم الشرعية على يد كبار المعلمين المسلمين. ونتيجة للجهود الكبيرة التي قامت بها هذه المدينة- مع منتصف هذا القرن- تحولت العديد من مدن الساحل السومطري والجاوي إلى الدين الإسلامي. وقد ساعد على هذا التحول المنافسة التي كانت موجودة آنذاك بين تلك المدن الساحلية ومملكة ماجاباهيت الهندوسية المسيطرة على المناطق الداخلية. كما أشار المؤرخون إلى أن تطور الإسلام في جاوة جاء متزامنا مع ضعف هذه المملكة الوثنية، وهو الأمر الذي منح هؤلاء الحكام المسلمين فرصة لبناء مراكز قوة مستقلة[٢٢].

مهما يكن من أمر، فبالرغم من الدور القيادي لملقا ونيلها قصب السبق في مجال نشر الدعوة الإسلامية في منطقة الملايو والأرخبيل، فإن ديماك تمكنت خلال فترة قصيرة من أن يكون لها دورا رئيسا في هذا الجانب، لا يقل بأي حال من الأحوال عن دور ملقا؛ فبدأت السلطنة ترسل الدعاة على طول الطرق التجارية، ولا شك أن التأثير الأكبر في هذا النشاط الدعوي يعود الفضل فيه للأولياء (الدعاة) الذين استوطنوا مملكة ديماك[٢٣]. من ناحية أخرى، وعقب سقوط ملقا في يد البرتغاليين- عام ٩١٧هـ/١٥١١م- تزايدت الأهمية الدينية لديماك، وغدت آنذاك القوة الإسلامية الأولى والمركز الرئيس-

---

[٢٢] **ايرا لابيدس، *تاريخ المجتمعات الإسلامية*، (ترجمة) فاضل جتكر، المجلد الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١م، ص ٦٤٣؛ بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٥٢، ٣٥٥؛**

A. Ibrahim, *The Malaysian Legal System*, Kuala Lampur, 1995, pp. 7-8; B. Lawrence, "The Eastward Journey of Muslim Kingship: Islam in Southeast Asia" in *The Oxford History of Islam*, Edited by: J. Esposito, Oxford University Press, 1999, p. 426; Tan Ta Sen, *Cheng Ho and Islam in Southeast Asia*, Institute of Southeast Asian Studies, Singapore, 2009, p. 180; Nur Afidah, *Op. cit*., pp. 66.

[23] Agus Susilo, *Op. cit*..pp. 76-77.

دون منازع– لنشر الإسلام وتعاليمه في منطقة جنوب شرق آسيا[٢٤]. وبفضل هذه المكانة الدينية الكبيرة التي تبوأتها آنذاك ديماك في منطقة الأرخبيل لم يكن مستغربا أن تلقب بـ "مكة الشرق"[٢٥].

وفي الواقع كان لموقع ديماك دور مهم في سهولة وصول الإسلام إليها؛ فهي تقع على الساحل الشمالي لجاوة، ولا تبتعد كثيرا عن مضيق موريا، وهو الأمر الذي جعلها مزارا للتجار والدعاة المسلمين، بوصفها محطة رئيسة في طريق التجارة في المنطقة[٢٦]. من جانب آخر، تؤكد الروايات الجاوية على أن العلاقات ما بين مملكة ماجاباهيت الوثنية وبين الممالك الإسلامية المجاورة لها قد سهلت كثيرا من مهمة العلماء المسلمين الذين وفدوا إلى جاوة؛ فقد تم الترحيب بهم ومنحهم الحرية في مزاولة نشاطهم الدعوي، وهو الأمر الذي منح الفرصة لسكان تلك الجزيرة في التعرف على الإسلام ومبادئه، وجعلهم مهيأين لاعتناقه[٢٧]. وبحسب الأساطير الجاوية[٢٨]، فإن ملك

---

[٢٤] **محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٣؛ ايرا لابيدس، *المرجع السابق*، ص ٦٤٤؛**
Agus Susilo, *Op. cit*., P. 79.

[25] Jean Couteau, "Bali et l'islam: Rencontre historique", in *Archipel*, Vol. 58, (Mélanges en hommage à Denys Lombard), 1999, P. 162; Agus Susilo, *Op. cit*., p. 78.

[26] Ismail Nasution, "Demak as the Maritime Kingdom on the North Coast of Java", in *Paramita: Historical Studies Journal*, 31 (1), 2021, p. 5; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 5; Supratikno Rahardjo, Kota *Demak sebagai Bandar dagang di jalur sutra, Proyek lnventarisasi dan Dokumentasi Sejarah Nasional*, Direktorat Jenderal Kebudayaan Departemen Pendidikan dan Kebudayaan, Jakarta, 1997, p. 1;
بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٥٢.

[27] Agus Susilo, *Op. cit*., P. 82; H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 5; Nyong Santosa, *Op. cit*., p. 67;
توماس أرنولد، *المرجع السابق*، ص ٤٢٠؛ بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٢٩٩؛ بوكاتجاندراساس مينا، *المرجع السابق*، ص ٧٠.

[٢٨] **اشتملت أساطير بوتري تشامبا (كامبا) *Putri Champa* على ثلاثة نصوص جاوية وسوندانية هي: سيرات (سيرة) كاندا *Serat Kanda* وباباد (تاريخ) تانا جاوي *Babad Tanah Jawi* وسيجاره (تاريخ) بانتين *Sejarah Banten*. انظر: Tan Ta Sen, *Op. cit.*, p. 148**

ماجاباهيت الهندوسي براويجايا كان قد تزوج من ابنة مسلمة لملك تشامبا (جمفا) *Champa*، التي تسمى بوتري سيمبا Putri Cempa، وانتقلت للإقامة معه في القصر الملكي بجاوة، ثم في وقت لاحق قام بزيارتها ابن أختها رادين رحمات Raden Rahmat. وقد أحسن الملك براويجايا استقبال رحمات، وقام بمنحه نفوذا على بعض القرى في منطقة أمبيل *Ampel* (التابعة لسورابايا). ونتيجة للجهود الدعوية التي قام بها هذا الوافد فقد تحول أهل أمبيل للإسلام، لذلك فقد لقب "بسونان أمبيل"، ثم تمكن من نشر الدين الجديد في العديد من مدن جزيرة جاوة، وأصبح لاحقا أحد الأولياء (الدعاة) التسعة *Wali Songo* الشهيرين في تاريخ تحول سكان تلك الجزيرة للإسلام[٢٩]. ثم أصبح ابنه رادين بونانج Raden Bonang أيضا واحدا من هؤلاء الأولياء، كما أن ابنته تزوجت من تلميذه رادين فتاح (ابن الملك براويجايا)، الذي نجح في تأسيس سلطنة ديماك المسلمة، ثم تمكن من أن يكون وريثا لمملكة ماجاباهيت[٣٠]. مهما يكن من أمر، فإن تلك الروايات تؤكد على العلاقات الوثيقة التي ربطت ما بين مملكتي تشامبا في شبه جزيرة الهند الصينية وماجاباهيت في أرخبيل الملايو، وأن المصاهرات التي تمت ما بين البيتين الحاكمين كانت أحد أهم عوامل تعزيز تلك الصلات، كما أن المكانة السياسية والتجارية والقوة البحرية المتصاعدة لهاتين المملكتين في المنطقة عملت على زيادة التقارب بين الجانبين[٣١].

---

(29) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 148; Nyong Santosa, *Op. cit*., p. 68; Jean Taylor, *Indonesia: Peoples and Histories*, Yale University Press, London, 2003, p. 78-79; **بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٢٧.**

(30) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 148.

(31) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 148; H. De Graaf, *Op. cit*., p. 5; A. Wain, *Op. cit*., p. 435.

هذا فضلا عن أن هناك عاملا مهما آخر قد ساعد على انتشار الإسلام في ديماك– والمدن الساحلية الجاوية بصفة عامة– التي كان يتشكل معظم سكانها من طبقة التجار والبحارة؛ فقد كان أصحاب تلك المهنة ينظر إليهم نظرة احتقار ودونية في المجتمع الهندوسي القائم على النظام الطبقي المقيت، فلما بدأت الدعوة إلى الإسلام، ولمس السكان القيم والمبادئ السامية التي يدعو إليها هذا الدين الجديد، الذي يساوي بين جميع الأفراد والطوائف داخل المجتمع، ويعلي من قدر مهنة التجارة وأصحابها، أقبل سكان هذا الساحل على اعتناق الدين الجديد، وخلعوا رداء هندوسية مملكة ماجاباهيت(٣٢).

مهما يكن من أمر ، فقد بدأت السلطة في ديماك تقوم بنشر العقيدة الإسلامية في الموانئ الجاوية الأخرى الواقعة على الساحل الشمالي للجزيرة، ثم نجحت– بعد صراع طويل مع مملكة ماجاباهيت الهندوسية– في نشر الدين الجديد في المناطق الجاوية الداخلية(٣٣). وقد بدأت مهمة رادين فتاح في أسلمة ماجاباهيت لأول مرة عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، عندما هاجمت جيوشه تلك المملكة الهندوسية، ثم توجه إليها بجنوده مرة أخرى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وهي الحملة التي حققت نجاحا كبيرا وأخضعت تلك الملكة لنفوذ سلطان ديماك(٣٤). والواقع أنه بعد استيلاء السلطان فتاح على ماجاباهيت، ومن أجل النجاح في نشر الدعوة الإسلامية بين السكان الوثنيين، قام بتقسيم هذه المملكة إلى تسع مناطق أساسية وهي: *Mataram – Blambangan– Daha – Trowulan – Pajang – Wengker – Lasem – Kahuripan – Tumapel*، ثم قام بإرسال

---

(32) D. Suryo, "commercialization and pasisir culture", in *Humaniora*, No. 3, 1996, P. 8;

فيصل السامر، *الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى*، إصدارات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧م، ص ٤٧–٤٩.

(33) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 180.

(34) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 230.

العلماء والدعاة إلى هذه المناطق التسعة من أجل تعريف السكان بالإسلام وتعاليمه، وإقناعهم بالدخول فيه بالحكمة والموعظة، مع محاولة التوفيق بين العقيدة الإسلامية والأوضاع والظروف القائمة في تلك المجتمعات[٣٥]. مثل تلك الحملات الحربية الجهادية التي قام بها رادين وخلفاؤه من بعده تشير بوضوح إلى أن عملية نشر الإسلام في جاوة لم تتحقق فقط من خلال الوسائل السلمية والتأثيرات الثقافية فحسب، وإنما كانت هناك كذلك حروب عنيفة دارت ما بين ديماك المسلمة والقوى الجاوية الوثنية (التي كانت تقف حائلا ما بين الدعوة الإسلامية ووصولها للأهالي) من أجل نشر الإسلام وفرض النفوذ والهيمنة السياسية[٣٦].

من ناحية أخرى، فإنه من ديماك تم نقل الإسلام إلى منطقة لامبونج وبالمبنج وجامبي في سومطرة، وجزر سولاويزي *Sulawesi*، وبورنيو الشمالية، وجزر التوابل (جزر الملوك) في الأرخبيل الشرقي، ومن هناك إلى ميندناو *Mindanao* في جنوب الفلبين[٣٧]. ومن الروايات التي تتحدث عن الجهود والتضحيات التي بذلها سلاطين ديماك من أجل نشر الدين الإسلامي خارج حدود جاوة ما ورد في كتاب "حكاية بنجر" من أن الأمير رادين سامودرا Samudera ولي العهد في مملكة نيجارا داها *Negara Daha* اضطر بعد وفاة أبيه حاكم البلاد إلى مغادرة مملكته واللجوء إلى بنجرماسين *Banjarmasin*- الواقعة في جنوب كاليمانتان *Kalimantan*- بعدما استولى عمه

---

(35) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 81.

(36) Sumanto Al Qurtuby, *Op. cit*., P. 59.

(37) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 180, 230; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 8; D. Hall, *A History of South-East Asia*, Published by: The Macmillan Press, London, 1981, p. 232; H. De Graaf, *South East Asian Islam*, p. 137;

ايرا لابيدس، *المرجع السابق*، ص ٦٤٣؛ توماس أرنولد، *المرجع السابق*، ص ٤٢٦، ٤٢٩-٤٣٠؛ محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣.

على العرش. فما كان من هذا الأمير إلا أن أرسل في طلب النصرة من سلطان ديماك وصاحب السطوة في جاوة ترينجانا. من ناحيته، أبدى السلطان استعداده لمد يد العون لهذا الأمير إذا ما تعهد له باعتناق الدين الإسلامي، بعدما يتحقق له النصر. وبموافقة سامودرا وإعطائه المواثيق على ذلك، أرسل السلطان عام ٩٣١هـ/١٥٢٥م حملة بحرية عسكرية- بلغت قوتها حوالي ألف جندي- تمكنت من مهاجمة نيجارا داها، ونجحت في تمكين سامودرا- الذي لقب بسوريانسيا Suryansyah (أو سوريان شاه)- من كرسي الحكم في بنجرماسين، التي أصبحت من الآن فصاعدا سلطنة إسلامية مسيطرة على كل إقليم نيجارا داها، ثم عادت الحملة إلى ديماك محملة بالغنائم والهدايا(٣٨). علما بأن حكام بنجرماسين ظلوا ملتزمين بإرسال سفارة سنوية إلى سلطان ديماك لحمل الضريبة المقررة، ولم يتوقف هذا الأمر إلا بعدما انتقلت السلطنة من ديماك إلى باجانغ في جاوة الوسطى(٣٩).

جدير بالذكر في هذا السياق أن الحاكم الأول لديماك رادين فتاح كانت له خلفية واسعة في العلوم الشرعية ومجال الدعوة؛ فقد كان تلميذا لسونان أمبيل، وذلك رفقة عدد من أشهر الدعاة والأولياء الذين سيكون لهم دور بارز في تاريخ ديماك وتاريخ جاوة بأكملها، مثل رادين باكو (سونان جيري) ومخدوم إبراهيم (سونان بونانج) ورادين قاسم (سونان دراجات)(٤٠). وكان فتاح حريصا على نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان، خاصة وأنه في بدايات حكمه كانت لا تزال ديماك قائمة كجزء من مملكة ماجاباهيت

---

(38) Taufik Abdullah, *Op. cit*., pp. 71-72; H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 70; Jean Taylor, *Op. cit*., p. 195; De Graaf, *South East Asian Islam*, p. 137; A. Wain, *Op. cit*., p. 23;

توماس أرنولد، *المرجع السابق*، ص ٤٢٩-٤٣٠؛ محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٣٠٥.

(39) H. De Graaf, Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa, P. 70.

(40) Agus Susilo, Op. cit., pp. 75-76; محمد مهر علي، المرجع السابق، ص ٢٩٦

الهندوسية (كانت جزءا من منطقة بينتارا)، كذلك كان هناك عدد ليس بالقليل من السكان ينتمون إلى الهندوسية والبوذية. ومع مرور الوقت عمل رادين على تطبيق الشريعة والتقاليد الإسلامية في مختلف جوانب الحياة داخل مملكته[٤١]. من ناحية أخرى فإن لقب "سلطان" الموسوم به ملوك ديماك- كما ورد في الروايات المحلية- يشير إلى أن الملك، إلى جانب كونه قائدا سياسيا، كان كذلك زعيما دينيا[٤٢]. ورغم أن حوليات الملايو تصف فتاح بأنه مسلم صارم ومخلص للغاية، إلا أنه كان يتعامل بدرجة كبيرة من التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى داخل مملكته؛ ومن أمثلة ذلك أنه ترك لهم أماكن عبادتهم (معابدهم) ولم يقم بتحويلها إلى مساجد، ومنحهم حرية كبيرة في ممارسة شعائرهم. وعلى ذلك فإن سياسة السلطان فتاح في ذلك الوقت اعتمدت على كسب قلوب السكان الأصليين، الذين كانوا لا يزالون يشكلون أغلبية هندوسية[٤٣].

يتبقى القول إن ظهور مملكة ديماك الإسلامية كان عاملا حاسما في انزواء وتلاشي الثقافة والتقاليد الهندوسية من جميع أنحاء جاوة، "بل إن هذا التغيير كان بمثابة ثورة كبرى في الفكر والحضارة الإسلامية في منطقة الأرخبيل بصفة عامة"[٤٤]. من ناحية أخرى- وبعد انهيار مملكة ماجاباهيت- اضطر عدد كبير من الهندوس إلى الهرب

---

(41) Agus Susilo, Op. cit., P. 76; Abdul Wahid Hasyim, Op. cit., p. 6; Nur Afidah, Op. cit., p. 65, 69.

(42) Supratikno Rahardjo, Op. cit., P. 61.

(43) Slamet Muljana, Runtuhnya Kerajaan Hindu-Jawa dan Timbulnya Negara-Negara Islam di Nusantara, Yogyakarta, 2013, P. 194; Tan Ta Sen, Op. cit., p. 229; Abdul Rohim, Perlawanan Kerajaan Demak terhadap Portugis 1513-1527 M, Skripsidiajukan Untuk Memenuhi Sebagian Syarat Memperoleh Gelar Sarjana Dalam Program Strata Satu Pada Jurusan Sejarah Peradaban Islam, Fakultas Adab Dan Humaniora, Universitas Islam Negeri Sunan Ampel, Surabaya, 2017, p. 25; Agus Susilo, Op. cit., p. 470.

(44) Nur Afidah, Op. cit., p. 65; Ismail Nasution, Op. cit., p. 3.

باتجاه المرتفعات الشرقية لجاوة، بحثا عن ملجأ يحفظ لهم معتقداتهم الدينية وتقاليدهم الثقافية[٤٥].

ت- "الأولياء التسعة" ودورهم في نشر الإسلام وتعزيز الدور السياسي لديماك:

كان هناك ارتباط وثيق بين حكام ديماك وبين الأولياء التسعة (وليسونجو)[٤٦] ؛ فمن خلال تلك العلاقة استفاد هؤلاء السلاطين في ترسيخ شرعيتهم ومكانتهم كحكام

---

(45) Sumanto Al Qurtuby, Op. cit., P. 59.

(٤٦) عرف الأدب الجاوي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين العديد من القصص التقليدية عن هؤلاء الأولياء، الذين يُعتقد أنهم قاموا بنشر الدين الإسلامي في جميع أنحاء جاوة. وقد أفاضت تلك القصص في الحديث عن حياتهم ومعجزاتهم ومعتقداتهم في مجال التصوف وعلم الكلام. ومصطلح "الأولياء"- وهو لفظ عربي- يشير إلى أنهم قريبون من الله ومخلصون له، ولديهم قوة وقدرات "خارقة للطبيعة" تتجاوز قدرات غيرهم من البشر. وعادة ما يرتبط عدد هؤلاء الأولياء بالرقم تسعة (أو كلمة سونجو في اللغة الجاوية) الذي يعتبر رقما "مقدسا في تقاليدهم، والذي يذكر بالكمال الذي يشمل كل شيء". ويبدو أنه قد تم تسمية هؤلاء الدعاة عمدا باسم "واليسونجو" من أجل جذب تعاطف الناس إلى الدين الإسلامي الجديد في البيئة الجاوية. من ناحية أخرى، فإن أسماء هؤلاء الأولياء قد وردت بأشكال مختلفة، كما أنها لم تتوقف عند الرقم تسعة. انظر:

H. De Graaf, *Op. cit*., p. 38; Abdul Mujib, "Culture in Da'wa Wali Songo", in *Ri 'ayah*, Vol. 5, No. 1, Januari-Juni, 2020, p. 66-68.

أما عن أسماء هؤلاء الأولياء- كما ورد في الروايات الجاوية- فهم كالتالي:

- **سونان أمبيل: رادين رحمات الملقب بـ بونغ سوي هوو، مرسخ المذهب الشافعي داخل المجتمعات الإسلامية الجاوية.**
- **سونان بونانج: رادين مخدوم إبراهيم، الملقب بـ بونغ تاك أنغ، وهو الابن الأكبر لسونان أمبيل.**
- **سونان جيري: رادين باكو وكذلك يعرف بمولانا عين اليقين، ربما لا يعود في أصوله إلى بلاد الصين كسابقيه، رغم أنه نشأ منذ الطفولة في كنف سونان أمبيل.**
- **سونان دراجاد: رادين قاسم، الملقب بـ بونغ تاك كنغ، وهو الأخ الأصغر لسونان بونانج.**
- **سونان كاليجاغا: رادين سعيد الملقب بـ جان سي كانغ، وهو قبطان صيني، يقال إنه ابن جان انغ كو، زعيم الجالية المسلمة الصينية في الفلبين. وقد عرف سونان كاليجاغا بعشقه للفن والثقافة ودرورهما الفعال في نشر الإسلام؛ لذلك فقد أنشأ فرقة موسيقية (أوركسترا) للإنشاد الديني في مسجد ديماك.**

مسلمين مؤيدين من قبل علماء الدين، أما هؤلاء الأولياء فإلى جانب الدور البارز الذي قاموا به في نشر الإسلام في ديماك وبقية مدن الجزيرة الجاوية، فقد اكتسبوا كذلك أهمية سياسية من خلال مشاركاتهم الفعالة في تسيير الحكم واتخاذ القرارات داخل البلاط الملكي في ديماك، كما أنهم شاركوا في الحروب كقادة وواضعي خطط المعارك ومعبأين للجماهير، هذا فضلا عن أنهم كانوا قد قاموا بدور مهم في تأسيس العديد من المدن الإسلامية في المنطقة، التي أصبحت لاحقا جزءا مهما من ممتلكات ديماك، مثل سيربيون وبانتين وجريسيك[٤٧]. ولعل هذا الدور المؤثر الذي أدوه في الحياة العامة في جاوة، والمناصب التي تقلدوها هو الذي جعلهم يعرفون باسم سونان *Sunan*، وهو اختصار لكلمة *Susuhunan* أو *Sinuhun* التي تعني "رجلا ذا رتبة عالية"، كما أنه في بعض

- **سونان قدوس: جعفر صادق، وهو أحد العلماء القادمين من الجزيرة العربية. كان أحد المصلحين داخل ديماك، كما أنه قاد عملية التغيير من المذهب الحنفي للمذهب الشافعي داخل المدينة.**
- **سونان موريا: رادين عمر سعيد، وهو ابن سونان كاليجاغا، ولم يعرف له اسم صيني.**
- **سونان جونونج جاتي: سياريف هدايت فتح الله الملقب بـ دو أنبو أو توه أ بو، مؤسس سلطنة سيربيون.**
- **رادين فتاح: سونان كوتا، والملقب بـ جين بون، مؤسس سلطنة ديماك.**

وباستثناء سونان جيري وسونان قدوس، فإن سبعة من الأولياء التسعة يرجعون إلى أصول صينية جاوية. وبالرغم من أن رادين فتاح هو مؤسس أول سلطنة إسلامية في جاوة (ديماك)، إلا أن بعض الروايات لا تعده كواحد من الأولياء التسعة. بالإضافة إلى ذلك، لا يبدو أنه حصل على لقب "سونان"؛ فجميع المؤلفات حول رادين فتاح صمتت عن هذا الأمر باستثناء كتاب واحد فقط يذكر أنه أصبح عضوا في وليسونجو عام ٨٧٠-٨٧١هـ/١٤٦٦م، ومنذ ذلك الحين عُرف باسم سونان كوتا. وهناك من يضيف إلى هذه القائمة وليا عاشرا يسمى مولانا إبراهيم الذي عرف بسونان جريسيك، رغم أنه عاش في فترة مبكرة عن تلك التي شهدت ظهور الأولياء التسع. وتعود أصول مولانا إبراهيم إما إلى المنطقة العربية أو إلى بلاد الكوجرات الهندية. انظر:
Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 239; Hendra Kurniawan, *Op. cit*., pp. 242-243; Djoko Suryo, *Op. cit*., pp. 8-9.

[47] Carool Kersten, *A History of Islam in Indonesia*, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2017, P. 31; Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 161; Agus Susilo, *Op. cit*., p. 73, 77; Nyong Santosa, *Op. cit*., p. 72; Jean Taylor, *Op. cit*., p. 77;
فيصل السامر، *المرجع السابق*، ص ٥٠-٥١؛ نصر الله جاسام، "الإسلام في إندونيسيا بين الأصالة والتحريف"، مقال بمجلة *Islam Nusantara*، المجلد ٢، العدد ٢، يوليو ٢٠٢١م، ص ١٠٠.

الأحيان يطلق عليهم لقب *Kanjeng* التي تعني أمير، وغيرها من الألقاب التي كان ينعت بها الملوك والحكام في جاوة(٤٨).

وفي الواقع كانت هناك عدة أسباب وقفت وراء تأييد هؤلاء الأولياء لرادين فتاح كسلطان على ديماك؛ أولا: بسبب مكانته الدينية الكبيرة التي بدأ يتبوأها في المنطقة، خاصة بعد إشرافه وإدارته للمدرسة العلمية الدينية التي أنشأها في ديماك، التي بفضلها أقبل عدد كبير من السكان الوثنيين على اعتناق الدين الإسلامي. ثانيا: خبرته ومكانته السياسية التي اكتسبها منذ تعيينه دوق (حاكم) في منطقة بينتارا/ديماك من قبل ملك ماجاباهيت. ثالثا: شرف نسبه وقرابته من الأسرة الحاكمة في ماجاباهيت (بوصفه ابنا لبراويجايا الخامس) (٤٩). من جانبه، اعترافا بفضلهم ومساعدتهم، قرب فتاح منه هؤلاء الأولياء، واتخذهم كمستشارين وموظفين في إدارة الدولة، "وهي المناصب التي تعرف الآن- في وقتنا هذا- باسم الوزراء؛ فسونان جيري (٨٤٧_٩١٧هـ/١٤٤٣_١٥١١م) كان بمثابة وزير للدفاع، وسونان بونانج (٨٥٣-٩٣١هـ/١٤٤٩-١٥٢٥م) وزير للثقافة، وسونان قدوس (٨٥٧-٩٥٧هـ/١٥٥٠-١٤٥٣م) وزير للعدل، القاضي وسونان كاليجاغا (٨٥٩-٩٩٤هـ/١٤٥٥-١٥٨٦م) وزير للأمن" (٥٠). كما أن السلطان ترينجانا كان "محبا لعلماء الدين الأولياء ومعجبا بهم"، لذلك فإنه- وفقا للقصص المحلية- قام بتوجيه الدعوة إلى سونان كاليجاغا للقدوم من سيريبون والاستقرار في كاديلانغو *Kadilangu*، بالقرب من ديماك (٥١).

---

(48) Abdul Mujib, *Op. cit*., P. 67.

(49) Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., P. 5; M. Nur Rokhman, "The emergence and development history of Demak Bintoro Kingdom", in *Journal of Social Studies (JSS)*, Vol. 12, No. 2, 2016, p. 44.

(50) Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., P. 6.

(51) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 51.

من ناحية أخرى، لم تكن عملية انتشار الإسلام داخل جاوة التي بدأها رادين فتاح أمرا سهلا وميسورا في ظل المعارضة والعقبات التي وجدها من قبل الأشخاص المنتمين للديانات القديمة (الهندوسية والبوذية)، وفي هذه المرحلة كان للدور الذي لعبه "الأولياء التسعة" أكبر الأثر في تجاوز تلك العقبات(٥٢). والواقع أنه كلما كان الإسلام يمتد وينتشر في جزيرة جاوة، كلما حيكت القصص والروايات بين الناس عن عظمة هؤلاء الأولياء؛ فقد استقر في الذاكرة الجماعية للشعب الجاوي- على سبيل المثال- أنهم نجحوا في بناء مسجد ديماك الكبير في ليلة واحدة، "وكان هذا الأمر ممكنا لأن كل واحد منهم كان يمتلك قوة خارقة لا يمتلكها أي شخص آخر"(٥٣).

وإذا ما أردنا التدليل على الدور الديني والسياسي الذي قام به هؤلاء الأولياء في تاريخ مملكة ديماك، فيمكننا القول بداية إن سونان أمبيل- المذكور آنفا- المسمى بونج سوي هوو Bong Swie Hoo، كان له الفضل في نشر المذهب الشافعي بين السكان الجاويين، وذلك خلال منتصف القرن ٩هـ/١٥م، ليحل بديلا عن المذهب الحنفي، الذي كان يعتنقه الجاليات الصينية المسلمة في جاوة(٥٤). هذا فضلا عن أنه قام بدور ملموس في إيجاد نوع من التقارب بين ديماك (المدينة الإسلامية الناشئة) وماجاباهيت (الإمبراطورية الوثنية المسيطرة) من خلال ما يسمى "بسياسة الاعتراف"؛ فقد أقر واعترف بسلطة براويجايا كملك هندوسي بوذي متسامح، وفي الوقت نفسه منح مباركته ودعمه لرادين باتاه كأول ملك مسلم لديماك(٥٥).

---

(52) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 78.

(53) Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 120.

(54) Hendra Kurniawan, *Op. cit*., P. 242.

(55) Achmad Fawaid, "Islam Behind the Court Wall: Politics and Aesthetics of Javanese Islam in Babad Tanah Jawi", in *Advances in Social Science, Education and Humanities Research,* vol. 644, Published by Atlantis Press SARL, 2022, P. 79;

كما أن سونان بونانج (ويسمى كذلك مولانا مخدوم إبراهيم وهو ابن سونان أمبيل) شارك بدور ملموس في الأحداث السياسية داخل ديماك؛ فقد قام أولا بدور مهم في تعيين رادين فتاح سلطانا على ديماك، كما أنه شارك في نضال مملكة ديماك الإسلامية ضد أعدائها، هذا فضلا عن أنه ساهم في بناء مسجد ديماك الكبير، وكانت له حلقات علمية لتدريس العلوم الشرعية الإسلامية، وقد استعان في شروحه بكتب أعلام الصوفية المسلمين مثل أبو حامد الغزالي (خاصة كتابه إحياء علوم الدين) وأبو يزيد البسطامي والشيخ عبد القادر الجيلاني [٥٦]. كما أنه عرف عنه استخدام الأغاني (الأناشيد الدينية) والأدب الصوفي في مواعظه ودروسه الدينية التي كان يلقيها في المسجد الكبير، من ذلك إنه كان يستخدم آلة موسيقية تقليدية يتم قرعها بالخشب تسمى بونانج *Bonang* (لذلك لقب بهذا الاسم)، "وقد كان صوت هذه الآلة يلامس قلوب الناس من حوله"، وتوافد الكثير من السكان على المسجد لسماع هذه الأناشيد وكانت تلك الأناشيد– بالإضافة إلى قصص وروايات "الوايانغ" أو ما يسمى الآن بمسرح الظل– التي ينشدها ويسردها سونان بونانج وغيره من الأولياء– خاصة كاليجاغا– ذات قيم تربوية وتحتوي على تعاليم الدين الإسلامي[٥٧].

ويعد سونان جونونج جاتي (ويسمى كذلك نور الدين وسيريف هدايت فتح الله ومقدوم جاتي) من الشخصيات التي قامت بدور سياسي ودعوي مهم، مكن سلطنة ديماك من بسط نفوذها على العديد من المناطق المجاورة. وأصول جونونج تعود إلى مدينة

جمال عبد الله المصري، *المرجع السابق*، ص ٤٥٩.

(56) Achmad Syafrizal, "Sejarah Islam Nusantara", in *Islamuna*, Volume 2, Nomor 2, Desember 2015, P.248.

(57) Achmad Syafrizal, *Op. cit.*, P.247; Abdul Mujib, *Op. cit*., p. 71;

علوي بن طاهر الحداد، *المرجع السابق*، ص ٢٣٢؛ محمد ضياء شهاب، *الإسلام في إندونيسيا*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٧٧م، ص ١٧.

باساي السومطرية، إلا أنه ترك هذه المدينة بعد استيلاء البرتغاليين عليها عام (٩٢٧هـ/١٥٢١م) وارتحل إلى مكة المكرمة. وبعد عودته من بلاد الحجاز عام (٩٣٠هـ/١٥٢٤م) التحق بخدمة السلطان ترينجانا، "وتم الترحيب به بحرارة في القصر"، كما وافق السلطان على تزويجه من أخته[٥٨]. وبفضل بلاغته وفصاحته وإمكاناته الدعوية نجح هذا الولي في نشر الدين الإسلامي بين عدد كبير من سكان جاوة الغربية. ثم أرسله السلطان ترينجانا عام (٩٣٠هـ/١٥٢٤م) على رأس حملة عسكرية كبيرة باتجاه بانتين وسوندا كيلابا، اللتين كان أهلهما لا يزالان هندوسيين بوذيين، وكانتا تحت حكم مملكة باجاجاران. نجح جاتي رفقة قواته في إلحاق الهزيمة بجيوش باجاجاران، وتحويل هذه المنطقة كلها إلى الإسلام. وبعد ذلك بقليل، تمكن جاتي من بسط سيطرته على سيريبون، واعتنق سكان هذه المدينة الدين الإسلامي. وهكذا خلال فترة قصيرة نجح جاتي في تحويل بانتين وسوندا كيلابا وسيريبون دينيا إلى الإسلام وسياسيا إلى نفوذ سلطان ديماك (حيث إنه كان يحكم باسم السلطان ترينجانا)[٥٩]. ومما عرف كذلك عن جونونج أنه دخل في مصاهرات مع طبقات اجتماعية متعددة الأعراق والأجناس- مثل الصينيين والعرب والجاويين- وذلك في محاولة منه لجذب فئات متنوعة لاعتناق الدين الإسلامي[٦٠].

من ناحية أخرى، هناك إشارات إلى أن سونان جونونج- بحكم رحلته إلى بلاد الحجاز وإحاطته علما بالأحداث السياسية في تلك المنطقة- دائما ما كان يحث السلطان

---

(58) H. De Graaf, Op. cit., P. 128, 134; Abdul Wahid Hasyim, Op. cit., p. 10; **D. Hall, *Op. cit.*, p. 301; A. Wain, *Op. cit.*, p. 425;** **محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٨**

(59) Achmad Syafrizal, *Op. cit.*, P. 249-250; A. Wain, *Op. cit.*, p. 425; Didin Saepudin, "Islamization of Banten and The Fall of the Kingdom of Pajajaran", in *Journal of Positive School Psychology*, Vol. 6, No. 2, 2022, p. 4812, 4814; Claude Guillot, "La principauté de Banten Girang", in *Archipel*, Vol. 50, 1995, p. 13;
محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٨.

(60) Taufik Abdullah, *Op. cit.*, p. 125.

ترينجانا "بالعمل كملك مسلم حقيقي"، والسعي إلى توسيع نفوذه السياسي بالاستيلاء على المناطق الوثنية المجاورة وإدخالها في الإسلام، وذلك لمحاكاة السلطنة العثمانية التركية التي نجحت في أن تمد نفوذها في آسيا وأوروبا الشرقية. كما أن لقب "السلطان" الذي استخدمه ترينجانا– تقريبا عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م– من المحتمل أن يكون بتأثير من صهره جاتي(٦١).

وكان لسونان جيري كذلك– إلى جانب جهوده الدعوية– دور سياسي مميز في تاريخ ديماك السياسي؛ فقد اجتمع مع بقية الأولياء في مسجد ديماك لمناقشة مسألة الحرب ضد ماجاباهيت، وقد اقترح جيري أن يرسل كل من الأولياء التسع أحد أبنائه للانضمام إلى قوات ديماك المتوجهة إلى ماجاباهيت، وذلك حتى تكون مشاركتهم دافعا ومحفزا للأهالي للمشاركة في هذه الحملة العسكرية المهمة(٦٢). كما أن سونان قدوس– صاحب الشخصية الحازمة والمؤثرة في نشر التعاليم الإسلامية– كان أحد أهم قادة ديماك الذين هاجموا عاصمة ماجاباهيت، ونجحوا في إلحاق الهزيمة بقوات تلك المملكة المجوسية، وكانت هذه المعركة هي إعلان زوال ماجاباهيت وظهور ديماك كمملكة قادرة على فرض سيطرتها داخل كل جزيرة جاوة(٦٣).

٢. الأوضاع السياسية ونظام الحكم والإدارة داخل السلطنة:

لسوء الحظ لا نمتك كثيرا من المعلومات الموثقة حول نظام الحكم والإدارة والوظائف الحكومية وأهم المسؤولين الملكيين في سلطنة ديماك؛ فهذه الأمور تكاد تكون غائبة في الكتابات الجاوية المحلية والحوليات البرتغالية التي أرخت لهذه السلطنة. وربما–

(61) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 128, 134; H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 7-8.

(62) Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 161.

(63) Achmad Syafrizal, *Op. cit*., P. 252; H. De Graaf, *Islamic States of Java*, p. 15.

وفقا للقصص الجاوية- كان نظام الحكم في ديماك استمرارا لما كان عليه في مملكة ماجاباهيت، بحكم أن ديماك كانت الوريثة الشرعية لهذه المملكة ولسياستها، هذا فضلا عن أن الحكام المسلمين في المدن الواقعة على طول الساحل الشمالي لجاوة- بما فيهم رادين فتاح في بداية حكمه- عاشوا لسنوات عديدة تابعين لملوك ماجاباهيت، وأن هناك زيارة سنوية كان يلزمهم القيام بها لبلاط الملك تسمى "زيارة الملك" لإعلان التبعية والولاء، ومن ثم فإن رادين فتاح عندما أسس مملكته الإسلامية في ديماك قام بالسير على نفس المراسم والتقاليد المتبعة آنذاك في ماجاباهيت من حيث إدارة الدولة ومراسم واحتفالات القصر[٦٤]. لكن يجب الوضع في الاعتبار كذلك أن نظم الحكم، والقوانين التي كانت تحكم المجتمع في ديماك الإسلامية- إلى جانب اعترافها بالعادات والأعراف "الهندوسية" الجاوية القديمة- كانت تعتمد بدرجة كبيرة على الشريعة الإسلامية وأحكامها [٦٥].

والواقع أن سلاطين ديماك كانوا قد قاموا بدور مهم في تطور وازدهار مملكتهم؛ فهم القادة المسئولون عن تنظيم شئون المملكة ووضع سياساتها، كما أنهم كانوا يتصرفون بحنكة وحكمة "وفق ما تقتضيه الظروف والمواقف"، وفي المجمل كان السلطان عاملا رئيسا في تحقيق "مجد المملكة ورفعة شأنها"[٦٦]. فإذا ما نظرنا بداية إلى مؤسس هذه السلطنة رادين فتاح نجد أنه كان يمتلك المؤهلات والخبرات السياسية التي مكنته من أن يسوس دولته الوليدة بحكمة واقتدار؛ فقد عاش حوالي ٢٠ عاما من عمره في قصر وبلاط حاكم بالمبانج- أخيه أريو دامار Ario Damar- وهي فترة طويلة اكتسب خلالها خبرة

---

(64) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, pp. 75-76; De Graaf, *South East Asian Islam*, p. 132; M. Nur Rokhman, *Op. cit*., p. 45, 49.

(65) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 77.

(66) Maryam, "Transformasi Islam Kultural ke Struktural (Studi Atas Kerajaan Demak)", in *Tsaqofah dan Tarikh: Jurnal Kebudayaan dan Sejarah Islam*, Vol. 1, No. 1, Januari-Juni 2016, P. 66.

كبيرة في السياسة ونظام الحكم(٦٧). ونستطيع أن نتلمس المهارة والحنكة السياسية التي كان عليها السلطان فتاح من خلال شبكة العلاقات الدبلوماسية المتشعبة التي أقامها مع كثير من الدول والممالك الإسلامية؛ فقد أرسل العديد من السفارات الملكية إلى جوهور (في شبه جزيرة الملايو) وباساي (في جزيرة سومطرة) والكوجرات الهندية وتركيا وبلاد فارس والجزيرة العربية وغيرها من البلدان الأخرى(٦٨).

ولا شك أن ترينجانا (أو ترانجانا) بن رادين فتاح يعد أشهر حكام ديماك على الإطلاق؛ ففي عهده شهدت المدينة توسعا وازدهارا غير مسبوق، حتى أنها أضحت مركزا لمملكة بحرية كبيرة تحمل الاسم نفسه، وتمتد شرقا وغربا على طول الساحل الجاوي، كما أنه نجح– حوالي عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م– في اجتياح ماجاباهيت والقضاء على بقايا جاوة الهندوسية البوذية(٦٩). وقد كانت وفاة السلطان ترينجانا عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م– أثناء الحملة التي خرج على رأسها باتجاه باسوروان لمحاولة بسط حكمه ونفوذه شرقا على طول الساحل خلف دلتا برانتاس *Brantas*– تمثل نهاية عصر الحكام الأقوياء للسلطنة، ودخلت من بعده البلاد في مرحلة من الفوضى والتدهور (٧٠).

مهما يكن من أمر، فإن المنزلة والمكانة الكبيرة التي كان يتبوأها سلاطين ديماك جاءت مؤيدة بشهادة ورواية المؤرخين والرحالة البرتغاليين المعاصرين؛ فها هو تومي بيرس يذكر صراحة أن ملك ديماك رادين باتاه هو الحاكم الرئيس في كل جاوة، وأنه تم

---

(67) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 75.

(68) Abdul Rohim, *Op. cit*., P. 26.

(69) Tim Hannigan, *A Brief History of Indonesia: Sultans, Spices and Tsunamis*, Tuttle Publishing, Singapore, 2015, p. 76; A. Wain, *Op. cit*., pp. 76-77; Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 184; Colin Brown, *Op. cit*., p. 36; Nyong Santosa, *Op. cit*., p. 71; Fitri Annisa, *Op.* cit., p. 11.

(70) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 52; Tim Hannigan, *Op. cit*., p. 77; M. Nur Rokhman, *Op. cit*., p. 47.

اختياره طواعية من قبل بقية أمراء الجزيرة كي يكون قائدا ورئيسا لهم، وأن روح الصداقة والود كانت هي المسيطرة على هذه العلاقة [٧١]. وفي موضع آخر يذكر هذا المؤرخ- على لسان أحد أمراء جاوة- أن القائد البرتغالي- ألفونسو البوكيرك- إذا ما وافق على الدخول في معاهدة سلام مع ملك ديماك، فإن جميع حكام جاوة لم يكن يسعهم إلا الموافقة على هذا الصلح والدخول فيه، "لأن ملك ديماك يمثل جاوة بأكملها"[٧٢]. من جانبه، يصف الرحالة والأدميرال فرديناند مينديز بينتو حاكم ديماك بأنه "إمبراطور جزيرة جاوة"[٧٣]. ولعل مما عزز من قدر ومكانة هؤلاء الحكام هو أن جميع إمارات ومدن الساحل الجاوي الشمالي (باسيسير) كانت لها روابط عائلية مع ديماك، من خلال النسب أو الزواج والمصاهرة[٧٤].

أما على مستوى الجانب السياسي والعلاقات التي ربطت ديماك بالقوى المجاورة لها، فيمكننا القول إنه بعد انهيار مملكة ماجاباهيت عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م- ومع دخول القرن ١٠هـ/١٦م- أصبحت ديماك لديها القدرة على فرض نفوذها السياسي في غالبية مناطق الجزيرة الجاوية، لتصبح هي الوريث الشرعي للملكة الهندوسية المنهارة. ولعل النجاح الكبير الذي حققه حكام ديماك آنذاك تمثل في إحكام سيطرتهم على عدد من المواني التجارية المهمة على السواحل الشمالية لجاوة، مثل جيبارا وسيمارانج و توبان وجريسيك، بحيث إنه في غضون سنوات قليلة تمكن حكام ديماك من إقامة مملكة إسلامية كبيرة تضم معظم المدن الجاوية وعددا من المدن السومطرية، هذا فضلا عن الجزر

(71) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 184.

(72) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 195.

(73) Ferdinand Mendez Pinto, *The Voyages and Adventures of Ferdinand Mendez Pinto*, Done into English by Henry Cogan, With an Introduction by Arminius Vambery, London, 1897, P. 377.

(74) Carool Kersten, *Op. cit*., P. 173.

الواقعة بين الساحل الشرقي لسومطرة وبورنيو[٧٥]. وعن حركة التوسعات والفتوحات التي بدأها سلاطين ديماك، يقول أحد الباحثين "إن حكام ديماك أرادوا آنذاك محاكاة تجربة الأتراك العثمانيين، الذين نجحوا في جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية خالصة، فكان هؤلاء الحكام بدورهم يهدفون إلى أسلمة جاوة بأكملها، معتبرين أنفسهم أنهم أتراك جنوب شرق آسيا"[٧٦]. والواقع أن هذه الفكرة وردت عند أحد البرتغاليين المعاصرين، وهو مانويل بينتو، الذي يذكر– من باب تحذير بني جلدته– أن "هدف سلطان ديماك هو تحويل كل الناس من حوله إلى الإسلام، حتى يصبح هو نفسه في منزلة السلطان التركي، المبغض لمملكة ملقا البرتغالية"[٧٧].

بيد أنه يلزم التأكيد بداية على أن سلاطين ديماك– ومن أجل فرض تلك الهيمنة– قد واجهوا ضغوطا سياسية واقتصادية من قبل عدد من حكام الجزيرة، من بينهم– وأكثرهم خطورة– سلالة جيريندراواردهانا Girindrawardhana الحاكمة في داها كديري *Daha Kediri*، والتي كانت آنذاك تحت حكم برابو أودارا Prabu Udara (١٤٩٨–١٥١٨م). فقد ادعى هذا الحاكم أنه الأحق بإرث مملكة ماجاباهيت بعد فقد آخر حكامها براويجايا الخامس، ومن ثم فقد بات الصراع حتميا ما بين الطرفين من أجل تحقيق السيادة والنفوذ[٧٨]. وقد عمد برابو أودارا– الذي ادعى أنه براويجايا السابع Brawijaya VII–

(75) M. Meilink-Roelofsz, *Asian Trade and European Influence in the Indonesian Archipelago between 1500 and about 1630*, The Hague Martinus Nijhoff, Netherland, 1962, p. 111; Sumanto Al Qurtuby, *Op. cit*., P. 60; Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 4.

(76) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 230.

(77) Anthony Reid, *Asia Tenggara Dalam Kurun Niaga 1450-1689, Jilid 2: Jaringan Perdagangan Global Asia Tenggara*, Pengantar: Asvi Warman Adam, Penerjemah: R. Leirissa, Yayasan Pustaka Obar Indonesia, Jakarta, 2011, P. 205.

(78) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 4; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 3.

إلى الدخول في تحالف مع باكوان باجاجاران Pakuan Pajajaran[٧٩] لمواجهة سلطان ديماك رادين فتاح. والوقع إنه لا يمكن فصل هذا التنافس عن محاولة الطرفين لفرض نفوذهما التجاري في سوندا كيلابا *Sunda Kelapa* ومضيق ملقا، كما أن سلطان ديماك كان يخشى آنذاك من فقدان ولاء حليفه حاكم سيريبون وانضمامه إلى صف عدوه حاكم داها[٨٠]. شعور برابو أودارا بأن حكمه أصبح مهددا من قبل السلطان فتاح جعله كذلك يرسل وفدا إلى ملقا- محملا بكثير من الهدايا الثمينة- من أجل عقد اتفاق وتحالف مع القائد البرتغالي ألفونسو البوكيرك، وذلك عام ٩١٨هـ/١٥١٢م. هذا العداء السافر من جانب أودارا جعل السلطات في ديماك توجه لاحقا- وتحديدا عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م- حملة عسكرية كبيرة ضد داها. وقد نجحت تلك الحملة في إلحاق هزيمة قاسية بحاكم داها وما تبقى من قوات ماجاباهيت، وإن كان القضاء النهائي على هذه المملكة الهندوسية

---

[٧٩] في الواقع أثار التطور السريع للإسلام، سواء في الغرب أو في الشرق على يد سلاطين ديماك، مخاوف مملكة باجاجاران من تغلغل الإسلام داخل أراضيها؛ لذلك فقد اتخذ حكام هذه المملكة الوثنية عدة قرارات لمواجهة هذا المد الإسلامي؛ من ذلك: منع التجار المسلمين من زيارة الموانئ الخاضعة لسيطرتهم. كما أنهم قاموا بالدخول في اتفاقيات وتعاون دبلوماسي- سياسيا وتجاريا- مع البرتغاليين المقيمين آنذاك في ملقا؛ فقد أشارت المصادر البرتغالية إلى السفارة التي أرسلها الملك برابو سيليوانجي Prabu Siliwangi عام ٩١٨هـ/١٥١٢م إلى ملقا، وكان على رأسها ابنه وولي عهده سوراويسا Surawisesa، وذلك لمقابلة القائد البرتغالي ألفونسو البوكيرك، من أجل إقامة علاقات تجارية ثنائية بين الطرفين. كما أن هناك مبعوثين برتغاليين- بقيادة هندريك ليمي Hendrique Leme صهر البوكيرك- وصلت عام ١٥٢٢م إلى العاصمة باكوان، وقد تم خلال هذه الزيارة الاتفاق على تعزيز العلاقات التجارية والعسكرية بين باجاجاران والبرتغاليين. كما أنه في العام نفسه، وأثناء الاحتفال باعتلاء سوراويسا للعرش حضرت إلى باكوان سفارة برتغالية أخرى للمشاركة في هذه الاحتفالية، وتم عقد اتفاقية جديدة، تعهد بموجبها حاكم باجاجاران الجديد بتوفير كميات كبيرة من الفلفل للبرتغاليين، كما أنه منح هؤلاء البرتغاليين الإذن ببناء حصن في ميناء سوندا كيلابا. وفي المقابل تعهد البرتغاليون بمساعدة باجاجاران والدفاع عنها في حالة مهاجمة سلطنة ديماك لها. انظر: Didin Saepudin, *Op. cit.*, p. 4811; Slamet Muljana, *Op. cit.*, p. 221

(80) Ismail Nasution, *Op. cit.*, p. 4.

لم يتم إلا في عام ٨٣٣هـ/١٥٢٧م، على يد القائد سونان جونونج جاتي، واضطرت بقايا أسرة جيريندراوردهانا آنذاك إلى الهروب باتجاه باسوروان وبانانروكان(٨١).

ولبيان العلاقات السياسية التي ربطت سلاطين ديماك بالقوى المجاورة وأهم المناطق والمدن التي أصبحت جزءا من ممتلكاتهم، يمكننا تقسيم وعرض هذه العلاقات على النحو التالي:

أ- شرق جاوة:

لقد نجحت ديماك بفضل السياسة التوسعية التي انتهجها حكامها في الاستيلاء على العديد من الموانى المهمة الواقعة على الساحل الشرقي لجاوة، كما إنها نجحت في الوصول إلى العديد من المناطق الداخلية التي لم تكن قد أسلمت بعد؛ ففي عام (٨٣٣هـ/١٥٢٧م) تم ضم توبان، التي كانت تعد ميناء قديما ومهما على عهد مملكة ماجاباهيت حتى القرن ٨هـ/١٤م؛ فقد أشارت المصادر الصينية إلى النشاط التجاري لهذه المدينة في وقت مبكر من القرن ٥هـ/١١م. ورغم أن توبان كان قد وصل إليها الإسلام بالفعل قبل دخولها في حوزة ملك ديماك إلا أنها ظلت موالية للحاكم الهندوسي البوذي في الداخل. ويبدو أن حاكم توبان المسلم- الذي كان مكروها من قبل بقية حكام الساحل "بسبب موالاته للكفار"- ظل على الحياد خلال الحرب التي شنتها قوات ديماك ضد ماجاباهيت، ولم يقر بسيادة ونفوذ سلطان ديماك إلا بعدما تم إسقاط تلك المملكة الوثنية(٨٢). مهما يكن من أمر، فإن توبان كانت تمثل مصدرا مهما لتزويد ديماك

---

(81) Slamet Muljana, *Op. cit*., pp. 196-197; Abdul Rohim, *Op. cit*., P. 71;

علوي بن طاهر الحداد، *المرجع السابق*، ص ٢٣٤؛ بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٦٩.

(82) Tome Pires, *Op. cit.*, pp. 190-191; M. Ricklefs, *A History of Modern Indonesia Since c. 1200*, Palgrave, Hampshire, 2001, p. 42; H. De Graaf, *Islamic States of Java,* p. 14; Djoko Suryo, *Op. cit*., p. 6.

بالمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والسمكية؛ فقد كان سكان هذه المدينة يعتمدون في معيشتهم على الزراعة وتربية المواشي والصيد البحري(٨٣).

كما أنه في عام ٩٣٥-٩٣٦هـ/١٥٢٩-١٥٣٠م نجح السلطان ترينجانا في ضم مديوم *Madium* إلى ممتلكاته. وفي عام ٩٣٦هـ/١٥٣٠م اعترفت مدينة سورابايا- التي كانت بالفعل آنذاك ميناء إسلاميا- بسلطة ديماك(٨٤). علما بأن سورابايا كانت تعد أهم ميناء على الساحل الشمالي لجاوة الشرقية، ولم يذكر اسم هذا الميناء إلا في القرن ٨هـ/١٤م في كتاب ولاية كيرتاجاما *Kertagama*، الذي يخبرنا أن ملك ماجاباهيت هيام وروك Hayam Wuruk (١٣٥٠-١٣٨٩م) قد قام بزيارة لمدينة سورابايا، عاصمة دوقية جينغالا *Jenggala* (٨٥). جدير بالذكر أنه رغم خضوع هذه المدينة في ذلك الوقت لنفوذ مملكة ماجاباهيت الهندوسية، إلا أنه كان يوجد بها جالية كبيرة من المسلمين، الذين كان لهم مسجد كبير يؤدون فيه شعائرهم. من ناحية أخرى فإن البحارة المسلم ماهوان- الذي اصطحب أسطول القائد الصيني تشنغ هو- زار سورابايا في رحلتين خلال الفترة ٨١٦هـ-٨١٨هـ/١٤١٣م-١٤١٥م و٨٢٤هـ-٨٢٥هـ/١٤٢١م-١٤٢٢م، وقد وصفها بأنها يقطنها العديد من التجار الأثرياء، وأنه يوجد بها حوالي ألف عائلة، بينهم العديد من الصينيين(٨٦). ويبدو أن حاكم هذه المدينة- على الرغم من كونه مسلما- قد عارض لفترة طويلة طموح سلطان ديماك في توسيع مملكته إلى جاوة الشرقية، لذلك لم يعترف

---

(83) H. De Graaf, Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa, P. 147.

(84) M. Ricklefs, Op. cit., p. 42; H. De Graaf, Op. cit., P. 183; Taufik Abdullah, Op. cit., p. 184.

(85) H. De Graaf, Op. cit., P. 179; Tri Singgih, "Capitalism Expansion and Local Adaptation: Maritime Trade Network on the North Coast of Java During the Early Modern Period", In Jebat: Malaysian Journal of History, Politics and Strategic Studies, Vol. 48 (1), (April 2021), P. 81.

(86) Tri Singgih, Op. cit., P. 81; Nyong Santosa, Op. cit., p. 68.

بسيادة ديماك إلا مع العقد الثالث من القرن ١٦م[٨٧]. مهما يكن من أمر، فقد كان استيلاء السلطان ترينجانا على توبان وسورابايا يمثل خطوة مهمة نحو إقامة وحدة إسلامية في المناطق الساحلية الشمالية، التي كانت من قبل خاضعة لمملكة ماجاباهيت الوثنية[٨٨].

من ناحية أخرى، تمكنت قوات ديماك في العام نفسه- ٩٣٦هـ/١٥٣٠م- من الاستيلاء على باسوروان *Pasuruan* [٨٩]. وفي عام ٩٥٠هـ/١٥٤٣م تم احتلال جبل بينانغونجان *Penanggungan* (منطقة مقدسة لهندوس جاوة الشرقية). وفي عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م نجح السلطان ترينجانا في إخضاع مالانج *Malang* لنفوذه[٩٠]. وخلال الفترة الواقعة بين عامي ٩٥٢هـ/١٥٤٥م و٩٥٣هـ/١٥٤٦م أرسل هذا السلطان سلسلة من الحملات العسكرية باتجاه جاوة الشرقية حتى بلامبانجان *Blambangan*، التي كانت تعد بوابة مدينة بالي[٩١]. ثم توقفت تلك التوسعات فجأة عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، وذلك إثر مقتل السلطان ترينجانا، الذي كان متوجها إلى باناروكان *Panarukan* لمحاصرتها[٩٢]. والواقع أن تلك الحملة كانت تمثل آخر محاولة عسكرية يقوم بها سلاطين ديماك في الطرف الشرقي لجاوة. بل إن الفوضى التي أعقبت وفاة السلطان ترينجانا-

---

(87) H. De Graaf, *Islamic States of* Java, P. 16.

(88) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 171.

جدير بالذكر أنه بعد وفاة السلطان ترينجانا عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م أصبحت سورابايا مستقلة عن سلطنة ديماك، ونجحت في أن تصبح أقوى دولة في جاوة الشرقية. انظر: H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 28

(89) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42; H. De Graaf, *Islamic States of Java*, p. 18; Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 184.

(90) Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 184; M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42.

(91) Jean Couteau, *Op. cit*., P. 162.

(92) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42; H. De Graaf, *Op. cit*., p. 19.

كما سيذكر لاحقا- أغرت بعض حكام مدن جاوة الشرقية- مثل سورابايا وباسوروان- لمحاولة الاستيلاء على السلطة في ديماك، بحيث يتحول مركز الثقل السياسي الجاوي مرة أخرى من جاوة الوسطى إلى جاوة الشرقية[٩٣].

ب- غرب جاوة:

أما في منطقة غرب جاوة، فلا شك أن حكام ديماك قد نظروا بعين الاهتمام لمدينتي بانتين (ويقال لها كذلك بانتام) وسيريبون، اللتين كانت تعدان مركزين مهمين من الناحيتين السياسية والتجارية. ويبدو أن بانتين كانت خاضعة منذ القرن ٤هـ/١٠م لدولة هندوسية جاوية تسمى سوندا، التي كانت تتمركز في المناطق الداخلية من جاوة الغربية، واتخذت من باكوان *Pakuan* عاصمة لها، ومن كيلابا *Kelapa* مينائها الرئيس. وقد كان الفلفل هو السلعة التجارية الأهم التي اشتهرت به المدينة منذ القرن ٦هـ/١٢م، إلا أنه بحلول القرنين ٧هـ/١٣م و٨هـ/١٤م أصبحت هذه السلعة- بسبب زيادة الإقبال على شرائها- سببا في ازدهار اقتصادي غير مسبوق لهذه المنطقة. وتشير المصادر البرتغالية إلى أن السفن التجارية البرتغالية كانت تقوم بزيارة بانتين من أجل تجارة الفلفل، كما أن الصينيين كانت لهم مشاركة كبيرة في هذه التجارة [٩٤]. بيد أن الحدث الأهم الذي منح بانتين كثيرا من الأهمية التجارية تمثل في سقوط ملقا- المركز التجاري الأهم في المنطقة آنذاك- في يد البرتغاليين، وذلك عام ٩١٧هـ/١٥١١م، وما تبعه من هجرة التجار- خاصة المسلمين- لملقا وتوجههم إلى العديد من الموانى الأخرى في منطقة الأرخبيل، فأصبحت بانتين من الآن فصاعدا مقصدا ومزارا مهما لهؤلاء التجار[٩٥]. هذا فضلا عن

---

(93) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 75, 86.

(94) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42; H. De Graaf, *Op. cit*., Ppp. 135-136; Claude Guillot, *Op. cit*., p. 13, 15.

(95) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42; Tri Singgih, *Op. cit*., p. 79.

أن المدينة– وبحسب المصادر الصينية– أصبحت كذلك مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م أحد المحاور الرئيسية للتجارة الصينية في الأرخبيل(٩٦). وقد أشار المؤرخ البرتغالي تومي بيرس إلى المكانة التجارية المميزة لهذه المدينة، ذاكرا أن ميناءها يأتي في المرتبة الثانية– بعد سوندا كيلابا– من حيث الأهمية لمملكة سوندا. وقد ارتبطت بانتين بصلات تجارية قوية مع جزر المالديف والساحل الغربي لسومطرة، وكان الفلفل والأرز والسلع الغذائية هي أهم صادراتها(٩٧).

سعت إذا ديماك لفرض سيطرتها على هذا الميناء الاستراتيجي، لذلك لجأ حاكمها البوذي– الذي كان آنذاك قد تخلص من نفوذ ملوك باجاجاران (عاصمة مملكة سوندا)– إلى الدخول في تحالف مع البرتغاليين ضد سلطان ديماك المسلم، أو ربما جاءت رغبة ديماك في مهاجمة سوندا كرد فعل لدخول هذه المملكة الوثنية في علاقات ود وصداقة مع البرتغاليين "العدو الصليبي المهدد للمسلمين ولبلادهم في المنطقة". مهما يكن من أمر، ففي عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م اتفق هؤلاء الأوروبيون مع حاكم المدينة على إنشاء "حصن على حدودهم الشرقية" كي يكون حاجزا وصدا منيعا أمام أي هجوم لقوات ديماك(٩٨). بيد أن هذا الاتفاق لم يكتب له النجاح؛ ففي العام التالي أخرج سلطان ديماك ترينجانا جيشا بقيادة سونان جونونج جاتي باتجاه هذه المدينة. وقد نجحت تلك الحملة في الاستيلاء على بانتين وطرد حاكمها الهندوسي، كما أن جونونج رفض الدخول في مفاوضات مع البرتغاليين، الراغبين في بناء قلعة على ساحل المدينة، وذلك عام

---

(96) Claude Guillot, *Op. cit*., p. 23.

(97) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 170,pp 172-173.

(98) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42; H. De Graaf, *Op. cit*., P. 133; D. Hall, *Op. cit*., p. 232; Claude Guillot, *Op. cit*., p. 23.

علوي بن طاهر الحداد، *المرجع السابق*، ص ٢٣٤؛ بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٧٠–٣٧١.

٩٣٣هـ/١٥٢٧م. فضلا عن ذلك، تمكن جيش ديماك عام ٩٣٦هـ/١٥٣٠م من الاستيلاء على سوندا كيلابا، التي تعد الميناء الرئيس لدولة باجاجاران الهندوسية والمدينة الساحلية الأهم في جاوة الغربية مطلع القرن ١٠هـ/١٦م، ثم قام المسلمون بتسميتها *Jayakerta* أو *Surakarta* (جاكرتا الحالية)، وهي أسماء جاوية مترادفة من أصل سنسكريتي تعني "منتصر ومزدهر"[٩٩]. علما بأن سونان نور الله جاتي استمر طوال فترة حياته يحكم بانتين باعتباره تابعا لسلطان ديماك، لكن أسلافه أصبحوا فيما بعد مستقلين عن هيمنة سلطان ديماك، خاصة بعدما بدأ الضعف يعتري المملكة[١٠٠].

وفيما يخص سيريبون، فقد كانت واحدة من أهم المدن التجارية على الساحل الجاوي، وقد وصفها تومي بيرس (يسميها *Cherimon*) بأنها تمتلك ميناء جيدا، وبها كميات وفيرة من الأرز والمواد الغذائية، ويحتوي هذا المكان على أجود أنواع الخشب لصناعة سفن الجنك، وهو ما لم يكن متاحا في أي مكان آخر في جاوة، خاصة وأن تلك الجزيرة كانت تعاني من نقص حاد في الأخشاب[١٠١]. لذلك فإن هناك آراء تذهب إلى القول إن حملة ديماك التوسعية المبكرة نحو الغرب كانت تهدف بصفة خاصة إلى السيطرة على محاصيل الأرز وقصب السكر الوفيرة بالإضافة إلى أخشاب الساج، التي يمكن الحصول عليها من السواحل الغربية الخصبة بين كيندال *Kendal* وسيريبون. وعلى ذلك فقد غدت هذه المدينة ظهيرا استراتيجيا لإمداد ديماك بما تحتاجه من تلك

---

(99) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42; H. De Graaf, *Op. cit*., P. 133; Anthony Reid, *Op. cit*., p. 172, 247; Tim Hannigan, *Op. cit*., p. 89; Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 185; **بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٧١.**

(100) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 43; Peter Sluglett, *Op. cit.*, p. 5; Fitri Annisa, *Op.* cit., p. 13.

(101) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 183.

المحاصيل والسلع[١٠٢]. ومن المحتمل أن تكون منطقة سيريبون قبل وصول قوات ديماك إليها– مثل العديد من المناطق الأخرى الواقعة إلى الشرق منها– قد خضعت لحكم ملوك سوندا الوثنيين المتمركزين في باجاجاران[١٠٣].

ولما كانت جيبارا تمثل مركزا تجاريا مهما على ساحل جاوة فإن حكام ديماك كانوا حريصين على إخضاع هذه المدينة لنفوذهم. وفي الواقع كانت جيبارا تمتلك ميناء مميزا عن بقية موانى الساحل الجاوي؛ فهو يقع في خليج متسع، مما جعله مهيأ لاستقبال السفن الكبيرة، هذا فضلا عن أنه كان محميا بثلاث جزر صغيرة، مما وفر حماية طبيعية للسفن الواصلة إليه، لذلك لم يكن مستغربا أن يجذب هذا الميناء عددا كبيرا من القوافل التجارية القادمة من جميع المناطق الواقعة بين ملقا وجاوة وجزر الملوك، بل إنه أصبح على عهد السلطان ترينجانا المقر الرئيس لإقامة التجار القادمين إلى أراضي مملكته. ولا شك أن نجاح حكام ديماك في الاستيلاء على هذه المدينة كان له دور كبير في الازدهار التجاري الذي شهدته مملكتهم[١٠٤]. هذا فضلا عن أن جيبارا كانت مركزا مهما لتزويد ديماك بالعديد من السلع والمنتجات الغذائية، مثل الأرز والشمع والعسل واللحوم والأسماك[١٠٥]. ولعل تلك الأهمية البحرية والتجارية للمدينة هو الذي جعل تومي بيرس يشيد بها ويصفها بأنها من أفضل الموانئ التي زارها، كما أنه أشار إلى أن حاكم جيبارا

---

(102) A. Wink, Al-Hind, The Making of the Indo-Islamic World, Vol. III (Indo-Islamic Society 14th-15th Centuries), Brill, Leiden, 2004,P. 231; Tri Singgih, *Op. cit.*, P. 80.

(103) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 183; H. De Graaf, *Op. cit*., P. 133; A. Wink, *Op. cit*., pp. 231-232.

(104) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 187; M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit*., p. 111; H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 11; A. Wink, *Op. cit*., p. 234; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 12.

(105) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 183, 188-189.

هو ابن عم السلطان رادين باتاه، "وقد كان خاضعا لسلطته ومطيعا لأوامره"[١٠٦]. من ناحية أخرى، فإن ميناء جيبارا كان يمثل أهمية استراتيجية عسكرية في سياسة سلطنة ديماك؛ فمنه على سبيل المثال انطلق الأسطول الجاوي المبحر باتجاه ملقا لطرد البرتغاليين، وذلك عام ٩١٨هـ/١٥١٢-١٥١٣م[١٠٧].

ومن المدن الساحلية الأخرى التي أصبحت جزءا من مملكة ديماك: تيجال *Tegal* وسيمارانج، وكل منهما كانت تمتلك ميناء بحريا مميزا، كم أنهما اشتهرا بتصدير الأرز [١٠٨]. ويعتقد أن ميناء سيمارانج قد نشأ تقريبا في القرن ٣هـ/٩م، وذلك عندما جعلته مملكة ماتارام *Mataram* الهندوسية أحد الموانى الرئيسية في المملكة[١٠٩]. وقد ذكر تومي بيرس- الذي كان في المدينة عام ٩١٩هـ/١٥١٣م- أن عدد سكانها يبلغ حوالي ٣٠٠٠ شخص، وأنها كانت محكومة من قبل أمير مسلم تابع لسلطان ديماك. من ناحية أخرى، يضيف هذا المؤرخ أن ثمة علاقة مصاهرة قد جمعت بين حاكم سيمارانج- باتي ماميت (محمد) Pate Mamet- وملك ديماك باتي رودين؛ فقد كان هذا الملك متزوجا من ابنة هذا الحاكم[١١٠].

ت-جاوة الوسطى:

تعد مملكة باجانغ *Pajang*- التي أصبحت لاحقا الوريث الشرعي لمملكة ديماك- القوة الأكثر أهمية في منطقة جاوة الوسطى. ويبدو أن هذه المملكة كانت خاضعة خلال القرن ٩هـ/١٥م لحكم دولة هندوسية تسمى بنغينج *Pengging*، التي لم ترد عنها

---

(106) Tome Pires, *Op. cit.*, pp. 183-184.

(107) H. De Graaf, *Op. cit.*, P. 11.

(108) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 184; M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit.*, p. 112.

(109) Tri Singgih, *Op. cit*., P. 80.

(110) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 184.

روايات موثوقة أو مفصلة. وقد بدأ الإسلام ينتشر في تلك المنطقة نتيجة للجهود التي بذلها سونان قدوس (أحد الأولياء التسعة)، وذلك خلال النصف الأول من القرن ٩هـ/١٥م. وعلاقة ديماك مع باجانغ بدأت مع الحملة التي أرسلها السلطان ترينجانا إلى هناك، وكانت تحت قيادة صهره وقائد حرسه الشخصي جاكا تينغكير Jaka Tingkir، الذي يقال إنه ينتسب إلى بيت بنغينج وأنه كان ابنا لآخر ملوك هذه الدولة، بينما ينسبه البعض إلى الولي سونان كاليجاغا، وقد نجح هذا الأمير في مهمته وأصبح يحكم باجانغ باسم سلطان ديماك(١١١). بيد أنه بعد وفاة السلطان ترينجانا عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م بدأت مرحلة من الفوضى والاضطراب في وسط جاوة، ووقعت حرب أهلية بين الحكام. كما أن هذا الحدث مثل انحسار تام لسلطنة ديماك في المنطقة، وأنهى الجهود التي بذلها حكامها من أجل إخضاع جميع المناطق التي كانت سابقا خاضعة لمملكة ماجاباهيت الوثنية(١١٢). مهما يكن من أمر، فإنه في الفترة التي أعقبت وفاة ترينجانا، تمكن تينغكير (المستولي على ديماك والذي نقل مركز حكمه لاحقا إلى باجانغ) من أن يبسط سيطرته على العديد من مدن ومراكز جاوة الوسطى، ويقال كذلك إنه تم تنصيبه رسميا من قبل سونان جيري في عام ٩٨٩هـ/١٥٨١م كملك في جاوة الوسطى والشرقية، وذلك بمباركة وموافقة القوى الإسلامية الأخرى في المنطقة(١١٣).

ث-الساحل الشرقي لسومطرة:

تمكنت ديماك من بسط سيطرتها على عدد من مدن الساحل الشرقي لسومطرة، مثل جامبي *Jambi*. جدير بالذكر أن انتساب حاكم هذه المدينة في أصوله إلى جاوة،

(111) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 46; H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, pp. 234-235; H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 21.

(112) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 75.

(113) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 46.

بالإضافة إلى المصاهرات التي كانت تتم ما بين السكان السومطريين المحليين والجاويين القادمين إلى هذه المدينة قد ساعدت على توثيق العلاقة بين سلاطين ديماك وحكام المدينة. على أية حال، مثلت جامبي أهمية كبيرة لديماك من الناحية الاقتصادية، نظرا لما كانت تنتجه من كميات كبيرة من المواد الغذائية (بفضل خصوبة أراضيها) والصبار والذهب[١١٤]. وامتد نفوذ سلاطين ديماك كذلك إلى بالمبانج، الواقعة جنوب جامبي، والتي كانت أكثر خصوبة وازدهارا من جامبي[١١٥]. ويعتقد أنه خلال فترة ازدهار مملكة ديماك، شعر حكام بالمبانج المسلمون بأنهم مرتبطون بالسلالة الحاكمة في ديماك؛ ولهذا انضموا إلى القوات الإسلامية أثناء المعركة البحرية ضد ملقا البرتغالية عام ٩١٨هـ/١٥١٢-١٥١٣م. وربما هذا الارتباط الوثيق بين هاتين المدينتين وبين ديماك هو الذي دفع تومي بيرس إلى القول "إن سكان هاتين المدينتين يشبهون الجاويين أكثر من شبههم بالملاويين"[١١٦]. والواقع إن سلاطين ديماك- بعد بسط هيمنتهم على هاتين المدينتين- لم يلجأوا إلى إسقاط السلطة الحاكمة وإقامة حكام آخرين تابعين لهم، وإنما أبقوا على الحكام المحليين في مناصبهم، وارتضوا منهم الاعتراف بالخضوع والتبعية[١١٧].

ج- العلاقة مع البرتغاليين:

منذ وصول البرتغاليين إلى منطقة جنوب شرق آسيا مطلع القرن ١٦م، بدأت مرحلة من الصراع والصدام بين هؤلاء الأوربيين وبين القوى الإسلامية في تلك المنطقة. وعند الحديث عن أسباب حالة العداء التي نشأت ما بين مملكة ديماك وبين هؤلاء البرتغاليين، يمكننا إرجاع هذا الأمر إلى ثلاثة عوامل رئيسة: الأول منها ذو طبيعة دينية؛

(114) Tome Pires, *Op. cit*., p. 154; M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit*., p. 90-91.

(115) M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit*., p. 91; Geoff Wade, *Op. cit*., p. 119.

(116) Tome Pires, *Op. cit*., p. 154; H. De Graaf, *Op. cit*., P. ٢٢٤.

(117) M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit*., p. 91.

فقد وجد حاكم ديماك المسلم– بصفته المهيمن على جاوة وصاحب النفوذ القوي في منطقة الأرخبيل– واجبا عليه الدفاع عن الممتلكات الإسلامية ضد هؤلاء الأوربيين، الذين أرادوا التمكين للمسيحية في منطقة جنوب شرق آسيا على حساب الإسلام؛ "فالشعور بالقلق، والرغبة في إعادة الأراضي الإسلامية التي استولى عليها العدو، واستعادة مجد المملكة الإسلامية في ملقا" كان إذا عاملا رئيسا في دفع السلطة في ديماك إلى مهاجمة هؤلاء الغزاة(١١٨). أما العامل الثاني فيتمثل في الجانب السياسي؛ فقد كان ظهور البرتغاليين– منذ الوهلة الأولى– مدعاة لتغيير المعادلة السياسية في منطقة جاوة وجنوب شرق آسيا بصفة عامة؛ إذ لجأت بعض القوى السياسية المناهضة لديماك وتوسعاتها– وفي المقدمة ملوك باجاجاران وحاكم بانتين كما تم ذكره عند الحديث عن توسعات ديماك في منطقة غرب جاوة– إلى محالفة البرتغاليين والاستعانة بهم من أجل مواجهة سلطان ديماك، وهو الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى الدخول في عدة صراعات وحروب ضد هؤلاء الأوربيين وحلفائهم، من أجل الحفاظ على مملكته وعدم انفراط عقدها(١١٩). أما العامل الثالث فيكمن في صراع المصالح الاقتصادية؛ فقد كان نجاح البرتغاليين في الاستيلاء على ملقا عام (٩١٧هـ/١٥١١م)، ومن ثم فرض هيمنتهم على المضيق الذي يحمل اسم هذه المدينة، يعني توقف السفن التجارية– التي تحمل بضائع شرق آسيا– عن التوجه إلى سواحل مليبار والكوجرات والبحر الأحمر والخليج العربي، وهو الأمر الذي يعني وقوع خسائر فادحة لبلدان ومدن هذه المنطقة، التي كانت تعتمد في تسويق تجارتها وبضائعها– خاصة التوابل– على مدن غرب آسيا؛ فمضيق ملقا "كان يعتبر بمثابة طريق الحرير للتجارة

---

(118) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 188; Abdul Rohim, *Op. cit*., P. 62;

محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٧؛ بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٦٦–٣٦٧.

(119) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 42; H. De Graaf, *Op. cit*., P. 133; Didin Saepudin, *Op. cit*., p. 4811.

الإندونيسية والدولية في ذلك الوقت"، وعلى ذلك فقد بدأت استعدادات ديماك العسكرية منذ وقت مبكر للتصدي لهذا الخطر المهدد لعقيدتها ولممتلكاتها ولاقتصادها[١٢٠].

لقد نظر السلطان رادين فتاح إذا بعين الشك والريبة للبرتغاليين، الذين لم يكتفوا بسيطرتهم على ملقا، وإنما حاولوا كذلك مد نفوذهم إلى جزيرة جاوة[١٢١]. وللتصدي لطموحات هؤلاء الأوربيين، بدأ فتاح منذ عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م- أي حتى قبل أن يسيطر البرتغاليون فعليا على ملقا- يجهز قواته ويعدها لمواجهة هذا الخطر، وقد زادت وتيرة تلك الاستعدادات عام ٩١٥هـ/١٥١٠م، وذلك بعدما تمكن القائد البرتغالي البوكيرك من الاستيلاء على مدينة جوا الواقعة على الساحل الهندي. ومع نهاية عام ١٥١٢م/٩١٨هـ وبداية العام التالي جهز السلطان قواته وأسطوله البحري لمهاجمة البرتغاليين في ملقا، وقد جعل القيادة لابنه باتي يونس (ويطلق عليه كذلك أونوس) Pati Unus [١٢٢] مع قوة بحرية عسكرية قوامها ١٠٠ سفينة و٥٠٠٠ جندي من رجال ديماك وجيبارا وبالمبانج[١٢٣]. وإلى جانب هذه التجهيزات العسكرية والمعدات الحربية، حاول باتي يونس

---

(120) Abdul Rohim, *Op. cit*., P. 62-63; M. Nur Rokhman, *Op. cit*., p. 45.

(121) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 78.

[١٢٢] في الواقع هناك اختلاف في الآراء بين المؤرخين فيما يتعلق بشخصية باتي يونس وبنسبه؛ فبينما تذهب بعض الروايات (وفي مقدمتها الوثائق الصينية) إلى أنه ابن للسلطان رادين فتاح، توجد روايات أخرى تذهب إلى أنه صهر السلطان فتاح، وأن اسمه الحقيقي هو رادين عبد القادر، وهو ابن رادين محمد يونس الذي استقر بداية في مدينة جيبارا (وهي الرواية التي يؤيدها المؤرخ البرتغالي تومي بيرس). انظر:

Tome Pires, *Op. cit.*, p. 187; Abdul Rohim, *Op. cit*., pp. 63-66.

(123) M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 44; Slamet Muljana, *Op. cit*., p. 239; Abdul Rohim, *Op. cit*., p. 67.

بحسب رواية المؤرخ البرتغالي تومي بيرس، فإنه بمجرد وصول باتي يونس إلى السلطة في جيبارا بدأ يخطط لشن هجوم على ملقا، ويقال إن السبب هو "الإذلال الذي تعرض له أحد بحارته" في هذه المدينة. بيد أن الأمور كانت قد شهدت تغيرا كبيرا في ملقا سنة ٩١٧هـ/١٥١١م؛ إذ إنه في هذا العام تمكن القائد البرتغالي ألفونسو البوكيرك من الاستيلاء على المدينة، مما اضطر السلطان محمود شاه إلى الهروب وترك مدينته. وبحسب بيرس فإن هذه الحادثة اشعلت "روح الحرب المقدسة ضد البرتغاليين (الكفرة)"؛ فتواصل باتي يونس

كذلك معرفة قوة البرتغاليين وأعدادهم في ملقا، وقد اعتمد في انجاز تلك المهمة على التجار الجاويين المقيمين في تلك المدينة. وعن طريق هؤلاء "العيون" تمكن يونس من معرفة الحصن الذي كان معقلا للبرتغاليين– ويسمى الفرموزا *Al-Farmosa*– والذي تم تجهيزه بالمدافع. وبناء على تلك الأخبار، أمر يونس بصنع سفن قوية من أخشاب مدينة آتشيه، وزودها بمدافع كبيرة، من أجل قصف الحصن البرتغالي من مسافة بعيدة[١٢٤].

ومع نهاية عام ١٥١٢م/٩١٨هـ غادر أسطول ديماك ميناء جيبارا، متوجها غربا نحو جزيرة سومطرة، حيث قام بالرسو في ميناء باليمبانج، وقد حصل يونس هناك على تعزيزات في عدته وعتاده ليبلغ عدد جيشه ١٢٠٠٠ جندي[١٢٥]، ثم تواصلت الرحلة باتجاه ملقا. وفي شهر يناير ١٥١٣م/٩١٨هـ، كان أسطول ديماك أمام شواطئ المدينة، وقد حاول يونس مفاجأة البرتغاليين، وذلك بالقيام بهجوم سريع ضد المدينة، بيد أن القائد البوكيرك كان متنبها للأمر ومستعدا لهذا الهجوم؛ فقد قام بنشر قوة بحرية مكونة من ٣٥٠ جنديا على متن ١٧ سفينة، كانت مهمتهم الدفاع عن ساحل المدينة، وارغام السفن الإسلامية على التوجه لنهر موار، وفي هذا النهر تمكنت القوات البرتغالية من إغراق

مع السلطان محمود وباقي الحكام المسلمين في المنطقة، وفي عام ٩١٨هـ/١٥١٣م تم تنفيذ الهجوم ضد ملقا، بيد أن تلك الحملة تلقت هزيمة قاسية، وتم تدمير معظم سفن الأسطول الجاوي. ولعل الشيء الجدير بالذكر في هذا السياق هو أن الروايات والقصص التاريخية المحلية المدونة في جاوة الغربية وجاوة الشرقية وماتارام لم تذكر اسم باتي يونس مطلقا، كما أن الروايات التاريخية الجاوية لم تعط أهمية كبيرة لجيبارا، ولا للحرب البحرية التي شنتها القوى المسلمة ضد ملقا في الربع الأول من القرن ١٦م. ولعل معظم المعلومات الخاصة بصراع مملكة ديماك ضد البرتغاليين إنما تأتي من كتابات البرتغاليين، الذين أولوا كذلك عناية كبيرة بفترة حكم باتي يونس وأهميتها في تاريخ جاوة انظر:

Tome Pires, *Op. cit.*, p. 188; H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, pp. 54, 55; H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 7.

(124) Slamet Muljana, *Op. cit*., pp. 214-215; Abdul Rohim, *Op. cit*., p. 68.

(١٢٥) وفقا لتقديرات تومي بيرس فإن عدد جيش باتي يونس الذي خرج به من جاوة بلغ ٣٠٠٠٠ ألف، ولما وصل بالمبانج أنضم إليه ١٠٠٠٠ مقاتل آخرين. انظر: Tome Pires, *Op. cit.,* pp. 185-186

واحراق وتدمير العديد من سفن ديماك[١٢٦]. ويعود الفضل في تحقيق هذا الانتصار إلى المدافع البرتغالية، التي كانت أكثر تطورا من مدافع قوات باتي يونس[١٢٧].

مهما يكن من أمر، فإن خسائر هذه الحملة كانت فادحة بالنسبة لديماك؛ إذ إن الهجوم المدفعي البرتغالي تسبب في فقد ٤٠ سفينة من الأسطول، بينما وصل عدد الجنود الذين قُتلوا إلى ٤٠٠٠ جندي. وبعد أن وجد صعوبة في اختراق دفاعات القوات البرتغالية المتمركزة في حصنها، وبعد فقد هذا العدد الكبير من القوات والسفن، قرر يونس الانسحاب من ملقا والعودة بقواته مرة أخرى إلى جاوة. وفي الحقيقة فإن نتائج فشل هذه الحملة لم تقتصر على الجوانب العسكرية والسياسية فحسب، وإنما كانت لها كذلك أبعادها الاقتصادية؛ فمنذ تلك الحملة ساءت العلاقات التجارية بين جاوة وملقا (التي كانت تمثل المنفذ والسوق الأهم للبضائع الجاوية) وكذلك تأثرت العلاقات بشدة مع الهند والصين والبنغال وبلدان الشرق الأوسط، ولم تعد موانى ساحل جاوة تستقبل البضائع والسلع المتنوعة التي كان يصل بها سابقا تجار الكوجرات والصين والبنغال[١٢٨].

بعد ثماني سنوات من تلك المحاولة، وتحديدا عام ٩٢٧هـ/١٥٢١م، قرر باتي يونس معاودة هجومه على ملقا البرتغالية، "إذ إن روح الحماس والإصرار ظلت مشتعلة في روح يونس من أجل إلحاق الهزيمة بالبرتغاليين". ولا شك أن تمدد النفوذ السياسي والتجاري لهؤلاء الأوربيين كان هو السبب الرئيس لتلك الحملة الجديدة؛ فقد وصلت الأخبار إلى السلطان بأن البرتغاليين سيتعاونون مع سيانغيانغ Syanghyang، حاكم مملكة سوندا البوذية في باجاجاران، وهو الأمر الذي جعل السلطان متخوفا من أن تواجه

---

(126) Abdul Rohim, *Op. cit*., p. 69.

(127) Slamet Muljana, *Op. cit*., P. 240.

(128) Abdul Rohim, *Op. cit*., pp. 70-71; M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 44.

سوندا كيلابا مصير ملقا، فتصبح خاضعة للبرتغاليين، كما أن تلك الخطوة كانت تمثل تهديدا مباشرا لسيادة مملكة ديماك. بدأ إذا يونس في تجهيز السفن والمدافع والجنود، وبعد الانتهاء من تلك الاستعدادات غادر السلطان وقواته جاوة باتجاه ملقا. وفي هذه الأثناء كانت القوات البرتغالية قد أعدت دفاعاتها، وتم تجهيز ووضع مدافع كبيرة في حصن الفرموزا. وبعد رحلة سفر طويلة استمرت عدة أشهر، وصل يونس بأسطوله وقواته إلى مياه ملقا، وبعد أن أصبح الجيشان قريبين من بعضهما البعض، اندلعت حرب شرسة للغاية بين الطرفين، وقد استخدمت في تلك المعركة "مدافع متطورة وكبيرة الحجم، وكان الرصاص يخرج على شكل كرات نارية وينتقل بعيدا حتى يصيب الخصم". ورغم ما أبداه السلطان وجنوده من بسالة وشجاعة خلال تلك المعركة، إلا أن مدفعية البرتغاليين لعبت مرة أخرة دورا أساسيا في ترجيح كفتهم، وإلحاق الأذى والأضرار بالسفن الإسلامية، التي تعرض عدد كبير منها للاشتعال أو الغرق. ثم كانت النهاية بموت السلطان يونس بعدما تعرضت سفينته لقذيفة من المدفعية البرتغالية، واضطرت بقية سفن وجنود ديماك للفرار والرجوع إلى ساحل جاوة. وقد كانت تلك الهزيمة بمثابة خاتمة فصول "المواجهات العسكرية المباشرة" بين بحرية مملكة ديماك والبرتغاليين في ملقا، كما أنها مثلت نهاية الآمال في استعادة حكام ديماك لتلك المدينة الاستراتيجية سياسيا وتجاريا[١٢٩].

جدير بالذكر، إن الخوف من تمدد النفوذ البرتغالي في المنطقة كان هو الدافع الأساسي لخروج السلطان ترينجانا عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م باتجاه بلامبانجان وباناروكان، حيث لقي حتفه في هذه المدينة الأخيرة؛ فمنذ استيلاء البرتغاليين على ملقا عام ٩١٧هـ/١٥١١م أصبحت بلامبانجان حليفا استراتيجيا لهؤلاء الأوربيين، استطاعوا أن يتزودوا منها بما يحتاجونه من حبوب غذائية وبضائع، كما أنهم اتخذوا من باناروكان–

(129) Abdul Rohim, *Op. cit*., pp. 72-73; M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 45; Slamet Muljana, *Op. cit*., p. 219.

الميناء الأهم على سواحل بلامبانجان- المحطة الرئيسة لسفنهم التجارية المتوجهة إلى جزر الملوك وبلاد تيمور، وذلك في ظل حالة العداء التي وجدوها على سواحل سلطنة ديماك الإسلامية، مثل توبان وجريسيك وديماك. من ناحية أخرى، عقد حكام هاتين المنطقتين اتفاقية- أو بالأحرى مؤامرة- مع البرتغاليين لمحاربة ديماك، "التي كانت تشكل تهديدا متزايدا ضد بلاده"، كما أنهما وجها الدعوة لرجال الدين المسيحي (الكهنة) من أجل القدوم إلى بلادهم، لتحويل السكان من الوثنية إلى المسيحية. والواقع أن هذه المبادرة من قبل ملك بلامبانجان لم يكن الهدف الحقيقي منها عملية التحول الديني، "ولكن مع وجود هؤلاء المبشرين كان يسهل على الملك استدعاء الجيش البرتغالي وأسلحته" للتصدي لهجوم ديماك(١٣٠).

كما أن الروايات البرتغالية تشير إلى الجهود التي كان يبذلها الملك براواتا من أجل التصدي للبرتغاليين؛ فقد كان يعتقد "أنه يمكن بسهولة إسقاط ملقا عن طريق حرمانها من الأرز الجاوي"، وذلك لأن جزيرة جاوة كانت تعد المصدر الأول لتزويد ملقا بما تحتاجه من هذا المحصول. وتضيف الرواية أن هذا السلطان كان يفكر كذلك في إرسال بعثة استكشافية إلى جنوب سولاويزي بنية احتلال المنطقة وأسلمتها، وهو أمر كان يتعارض مع أهداف البرتغاليين الساعين إلى نشر المسيحية في تلك المنطقة(١٣١).

ح- الأسطول البحري والقوة العسكرية:

بعد الحديث عن التوسعات والفتوحات التي قام بها سلاطين ديماك، والتي أدت إلى هيمنة المدينة على معظم أنحاء جاوة وامتداد نفوذها كذلك إلى العديد من مدن وبلدان الأرخبيل ومحاولة تصديها لقوة البرتغاليين، يبدو من الضروري محاولة إبراز القوة

(130) Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit.*, P. 11.

(131) H. De Graaf, Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa, P. 88.

العسكرية والبحرية التي كانت تمتلكها ديماك، والتي مكنت قواتها من تحقيق كل تلك النجاحات، وذلك بحسب القدر الذي أمدتنا به المصادر والروايات. ويمكن بداية القول إنه بالنظر إلى موقع ديماك على حافة الساحل الشمالي لجاوة، فإنها كانت مهيأة لأن تصبح قوة بحرية من الطراز الأول في المنطقة. ولعل هذا الأمر كان يتطلب من حكامها القيام بعدة خطوات لتحقيق هذه الغاية على أرض الواقع، ويأتي في مقدمة هذه المتطلبات التوسع في عملية صناعة السفن وبناء أسطول قوي[١٣٢]. من جانب آخر، ومن الناحية السياسية، كانت ديماك مطالبة- بوصفها إمبراطورية بحرية- أن تمتلك أسطولا كبيرا من السفن لمراقبة سواحلها وتوسيع أراضيها، هذا فضلا عن أن تأمين حركة التجارة كان يتطلب من حكام ديماك توفير أسطول قوي لمنع التعدي على السفن التجارية في عرض البحر [١٣٣].

في الواقع نجحت ديماك خلال فترة قصيرة في أن تصبح بالفعل واحدة من أشهر مراكز صناعة وبناء السفن على الساحل الجاوي، التي كان مقرها آنذاك في سيمارانج، وقد تميزت تلك السفن بضخامتها وقوتها وجودتها. وربما مما سهل هذا الأمر هو تمتع المملكة بوفرة في الأخشاب الجيدة اللازمة لعملية البناء والتشييد، بالإضافة إلى وجود خبراء وعمال مهرة برعوا في هذه الصناعة[١٣٤]. وقد تم استخدام هذه السفن في أغراض

---

(132) Ismail Nasution, Op. cit., p. 9.

(133) Ismail Nasution, Op. cit., p. 9; Abdul Wahid Hasyim, Op. cit., p. 10.

[١٣٤] في الواقع يعد القائد البحري الصيني تشنغ هو أول من أتى بالعمال والصناع المهرة للعمل في ترسانة بناء السفن في سيمارانج من أجل تقديم الخدمات اللوجيستية لأسطوله البحري. وقد أتى بهؤلاء العمال من مقاطعة فوجيان Fujian التي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لبلاد الصين، وذلك بسبب عدم وجود صناع وبحارة جاويين مهرة يستطيعون القيام بهذه المهمة. علما بأن عددا كبيرا من هؤلاء العمال كانوا قد تحولوا للدين الإسلامي بتأثير من القائد المسلم تشنغ هو. ثم لما تمكن حاكم ديماك من بسط سيطرته على سيمارانج عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م واتخذها مقرا لأسطوله البحري حافظ على وجود هؤلاء العمال الصينيين وأحسن معاملتهم، رغم أن كثيرا منهم كان قد ارتد عن الإسلام وقاموا بتحويل مسجد المدينة إلى معبد هندوسي، وذلك

الشحن والتجارة، كما أنها كانت تستخدم كسفن حربية، وذلك عند دخول ديماك في نزاعات بحرية مسلحة مع القوى المناوئة لها[١٣٥]. علما بأن تلك السفن- بفضل جهود كين سان Kin San المشرف على تلك الترسانة- كانت لديها القدرة على حمل ٤٠٠ جندي أو ١٠٠ طن من البضائع. وبفضل تطور تلك الصناعة أصبحت هذه المملكة مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م منافسا بحريا لسلطنة ملقا، هذا فضلا عن أن باتي يونس اعتمد على تلك الترسانة البحرية القوية أثناء مهاجمته للبرتغاليين في ملقا[١٣٦]. وفي عام ٩٣٥هـ/١٥٢٩م، بعد وفاة كين سان، تم تعيين سونان براواتا- ابن السلطان ترينجانا- كرئيس للترسانة في سيمارانج، وفي عهده تم تشييد ١٦٠٠ سفينة كبيرة (جنك)، كل منها كان لديه القدرة على حمل ما يزيد عن ٤٠٠ جندي. ونتيجة لهذا الوفرة من الإنتاج لم يجد السلطان ترينجانا أدنى صعوبة في تجهيز عدد كبير من تلك السفن أثناء مهاجمته باسوروان[١٣٧]؛ فيذكر الرحالة البرتغالي ميندين بينتو أنه أثناء اقامته بمدينة جيبارا (٩٥٢هـ/أوائل عام ١٥٤٦م) علم بتوجه سلطان ديماك إلى باسوران للاستيلاء عليها، وكان أسطوله يشتمل على ٢٧٠٠ سفينة شراعية؛ من بينها ألف جنك "مرتفع البناء"، والباقي كانت "مراكب ذات مجاديف"[١٣٨].

والواقع أن البرتغاليين قد أشادوا كثيرا بالسفن الجاوية ودقة صناعتها؛ فالقائد البرتغالي الشهير ألفونسو البوكيرك- الذي تمكن بأسطوله البحري من السيطرة على ملقا-

---

بسبب حاجته الملحة إلى خدماتهم وتقنياتهم الفنية في مجال بناء السفن. وتشير حوليات الملايو إلى أن هؤلاء الصينيين غير المسلمين وعدوا الحاكم بأن يكونوا مواطنين مخلصين لمملكة ديماك المسلمة. انظر:
Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 219.

(135) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 2, 11.

(136) Slamet Muljana, *Op. cit*., p. 196-197; Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 9.

(137) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 9; Slamet Muljana, *Op. cit*., p. 243.

(138) Ferdinand Mendez Pinto, *Op. cit*., p. 377.

يتحدث بإعجاب عن تلك السفن البحرية التي استخدمتها سلطات ديماك لمهاجمة الأسطول البرتغالي، قائلا إن أكبرها كانت تشتمل على أربعة أشرعة، وهي مصنوعة من ألواح خشبية سميكة مكونة من أربع طبقات، "وهذه السفينة تتمتع بقدرة تحمل مذهلة، لأنها كانت قادرة على التصدي لنيران مدافع السفن البرتغالية". ومتوسط وزن هذا النوع من السفن يبلغ حوالي ٦٠٠ طن، وهي بذلك تفوق السفن الحربية البرتغالية حجما بكثير. كما أن البحارة والمؤرخ البرتغالي جاسبار كوريا يذكر أن حجم الجنك الجاوي يتجاوز بكثير حجم *Flor de la Mar*، التي كانت تعد في ذلك الوقت أكبر سفينة برتغالية (١٣٩). بيد أنه بالرغم من هذه الإمكانات الكبيرة التي تميزت بها سفن ديماك، إلا أنها كانت لديها بعض نقاط الضعف؛ فحجمها الكبير حد كثيرا من قدرتها على المناورة، كما أن تلك السفن كانت بطيئة الحركة، وذلك على عكس السفن البرتغالية التي– وإن كانت أصغر حجما– تميزت بخفة حركتها، وقدرتها على المناورة بسهولة(١٤٠).

وفي المجمل نجحت السلطنة بفضل هذه الترسانة في أن تصبح واحدة من أقوى الدول البحرية في المنطقة خلال القرنين ٩ و١٠هـ/١٥ و١٦م، كما أنها تمكنت من أن تبسط نفوذها على العديد من المدن والبلدان الواقعة شمال وشرق جاوة، مثل كاليمانتان *Kalimantan* وسولاويزي *Sulawesi* وجزر الملوك، وأن ترفع جناحيها غربا حتى الطرف الغربي لجزيرة جاوة. لكن هذه الصناعة ما لبثت أن تعرضت للتدهور والانهيار بعد وفاة السلطان ترينجانا، وفقدت ديماك ترسانتها البحرية بسبب الحرب التي اشتعلت بين الأمراء للاستيلاء على كرسي حكم السلطنة. وبعد انتقال مركز السلطة السياسية–

(139) Ismail Nasution, *Op. cit.*, p. 10.

(140) *Ibid*.

في وقت لاحق- من الساحل إلى الداخل، وبالتحديد إلى باجانغ مع ملكها جاكا تينغكير، انتهت عظمة ديماك وعظمة القوة البحرية الجاوية بصفة عامة [١٤١].

من جانب آخر، ومن خلال الإشارات القليلة التي وردت في المصادر المعاصرة، يمكننا القول إن ديماك كانت تمتلك قوة عسكرية متطورة ومنظمة؛ فهي تشتمل على عدد كبير من الجنود "المخلصين والأقوياء"، الذين كان يقدر عددهم بالآلاف. وهناك السفن الحربية كثيرة العدد ومحكمة البناء، كما أنها تمتلك المدافع والبارود، فضلا عن إجادة القادة لوضع خطط الحروب؛ فعلى سبيل المثال يذكر البرتغالي ميندیز بينتو أن جنود ديماك- الذين بلغ عددهم ٨٠٠ ألف جندي "راجل"- بقيادة السلطان ترينجانا (يسميه بانجويران Pangueyran) وكبار أمراء المملكة لما وصلوا بأسطولهم الضخم- المكون من ألفين وسبعمائة سفينة- إلى مدينة باسوروان عام ١٥٤٦م قاموا أولا باختيار أحد الأماكن الاستراتيجية لنصب معسكرهم، "ووضعوا المدفع في مكان ملائم لضرب المدينة، وهو العمل الذي بذلوا فيه الجزء الأكبر من اليوم". ويضيف بينتو أنه خلال تلك الليلة كانت هناك حراسة ورقابة مشددة من قبل الجنود حتى طلوع نهار اليوم التالي، "كما كان كل قبطان (قائد وربان السفينة) يقوم بما عليه من واجبات، ويلتزم بتعليمات القادة" [١٤٢]. ويستفاد كذلك من رواية هذا الرحالة البرتغالي أن عددا ليس بالقليل من قوات المملكة كان عبارة عن "مرتزقة أجانب"؛ فهو يقول "إن أفضل قوات ديماك كانت ٣٠٠٠ مرتزق قادمين من مناطق إسلامية مختلفة مثل آتشيه ومالابار وبلاد الترك". وقد عرف هؤلاء المحاربون بقوتهم ومهارتهم في استخدام الأسلحة النارية [١٤٣]. كما أنه لم يكن معتادا

---

(141) Ismail Nasution, *Op. cit.*, p. 2, 6,pp. 9-10.

(142) Ferdinand Mendez Pinto, *Op. cit*., pp. 377-378; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 10.

(143) Ferdinand Mendez Pinto, *Op. cit*., p. 384.

أثناء الحروب أن يأخذ السلطان قرارا منفردا دون العودة إلى بقية أمراء الجيش؛ فأثناء حصاء باسوروان على سبيل المثال قام السلطان ترينجانا بعقد مجلس للحرب، للتشاور مع أمراء وقادة جيشه في بعض مسائل هذا الحصار، مثل تحديد زمن ومكان الهجوم على المدينة. وقد نشأ خلاف كبير بين القادة حول هذه الأمور، حتى أن السلطان اضطر إلى أن يأخذ نصيحة مكتوبة من كل واحد منهم(١٤٤).

جدير بالذكر أن أقدم سلاح في جنوب شرق آسيا تم تصنيعه في مدينة ديماك؛ وهو عبارة عن مدفع عملاق يسمى *Ki Jimat* "كما لو كان تميمة ملكية"، وهو يزن ستة أطنان، وتوجد عليه نقوش باللغة العربية؛ وتتوزع هذه النقوش في ثلاث أيقونات دائرية كبيرة الحجم، تبدأ بالقرب من فوهة المدفع. والطول الإجمالي لهذا المدفع يقترب من الثلاثة أمتار ونصف المتر، أما عرضه فيقل عن المتر وربع المتر بقليل، كما أنه يشتمل على أربعة مقابض حديدية. ويعود تاريخ صناعة هذا المدفع فيما يبدو إلى عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦م كما هو مدون عليه(١٤٥). ويقال إن من قام بصناعته أحد البرتغاليين، الذي اعتنق الدين الإسلامي وعرف باسم خوجة زين العابدين. وقد قام السلطان ترينجانا عام ٩٣٥هـ/١٥٢٩م بإهداء هذا المدفع إلى حاكم بانتين الأمير حسن الدين، ويقال إنه كان بمثابة هدية لهذا الأمير الذي تزوج في هذا العام من ابنة هذا السلطان. وقد ظل هذا المدفع معروضا بتلك المدينة حتى بداية القرن العشرين(١٤٦).

٣. الازدهار التجاري لديماك:

---

(144) Ferdinand Mendez Pinto, *Op. cit*., p. 385.

(145) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 135; Claude Guillot, "Inscriptions islamiques sur des canons d'Insulinde du XVI^{e} siècle", in *Archipel*, volume 72, 2006, p. 70; Anthony Reid, *Op. cit*., P. 257.

(146) Claude Guillot, *Op. cit*., PP. 72-73; H. De Graaf, *Op. cit*., P. 135; Carool Kersten, *Op. cit*., P. 33.

تندرج مدينة ديماك ضمن فئة المدن الإسلامية ذات النمط البحري، وهي مدن تقع بشكل مباشر على السواحل وعند مصبات الأنهار الكبيرة؛ لذلك فقد كان اقتصاد ودخل ديماك- وغيرها من تلك المدن البحرية- يعتمد بشكل أساسي على التجارة وعائداتها، كما كانت قوتها العسكرية موجهة نحو البحرية [١٤٧]. ولا شك أن الثروة الكبيرة التي جلبتها التجارة لديماك وللعديد من المدن الأخرى التي كانت تابعة لها- مثل جيبارا وتوبان وسورابايا وجريسيك- قد لعبت دورا مهما في زيادة قوة ونفوذ تلك المملكة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية[١٤٨].

والواقع أن ديماك كانت قد قامت بدور مهم في تجارة جزيرة جاوة حتى قبل تحولها إلى مملكة إسلامية (ما قبل نهاية القرن ٩هـ/١٥م)؛ فاستنادا إلى مصادر النقوش التي تعود إلى عصر مملكة ماجاباهيت، وتحديدا في فترة حكم هيام وروك، تم ذكر اسم مدينة ديماك كواحدة من ٣٣ قاعدة بحرية في شبكة التجارة في ذلك الوقت[١٤٩]. ومما يعزز من هذا الأمر كذلك هو ما تشير إليه المصادر من قيام الأسطول الصيني بقيادة الأدميرال المسلم تشنغ هو بزيارة ديماك أثناء رحلته السابعة بين عامي ٨٣٤-٨٣٦هـ/١٤٣١-١٤٣٣م، وذلك في طريق عودته من سورابايا إلى بالمبانج؛ علما بأن الأسطول الصيني حط رحاله بعدة أماكن على الساحل الشمالي لجاوة، وهي تانمو *Tanmu* (ديماك)، وو-تشويه *Wu-Chueh* (بيكالونجان)، وتشي لي-وين *Che-li-wen* (سيريبون)، وتشيا لوبا *Chia-lu-pa* (سوندا كيلابا)[١٥٠]. من ناحية أخرى، يمكن التأكيد كذلك على أنه

---

(147) Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., P. 59.

(148) Anthony Reid, *Op. cit*., p. 76; Tri Singgih, *Op. cit.*, p. 79.

(149) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 3; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., P. 64.

(150) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 3; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., P. 64; J. Mills, "Chinese Navigators in Insulinde about A.D. 1500", in *Archipel*, vol. 18, 1979, pp. 83-84.

ما قبل تأسيس سلطنة ديماك تم تطوير العديد من الموانئ التجارية على الساحل الشمالي لجاوة، مثل جيبارا وتوبان وجريسيك، إلا أن هذه المرافئ كانت تخضع لحكم مملكة ماجاباهيت الهندوسية(١٥١). وبناء على ذلك يمكننا القول إن الظهور الحقيقي لديماك وزيادة أهميتها كقوة تجارية وبحرية إنما يعود الفضل فيه إلى حالة التراجع والتدهور الذي بدأت تعاني منه مملكة ماجاباهيت، وقد ارتبط هذا التراجع إلى حد كبير بفقدان حكام تلك المملكة السيطرة على الساحل البحري التجاري، واعتماد اقتصادهم إلى حد كبير على الزراعة. هذا الأمر أدى إلى انفصال العديد من المدن الجاوية الساحلية عن جسد تلك المملكة الهندوسية، وكانت ديماك واحدة من أهم هذه الكيانات التي زادت أهميتها السياسية والتجارية مع مرور الوقت(١٥٢).

مهما يكن من أمر، لقد استطاعت ديماك أن تستفيد من الفرص المتاحة أمامها، وأن تقوم بتحسين إمكاناتها، ووضع سياسة للتطور وامتداد النفوذ، وهذه الخطوات كانت مفتاح النجاح والازدهار البحري والتجاري لديماك، ونجحت بحق في أن تصبح مركزا للسلطنة الإسلامية الأولى في جاوة. ولا شك أن هناك عددا من العوامل قد ساعدت هذه السلطنة في الوصول إلى هذه الغاية؛ من ذلك:

(151) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 75.

(152) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 4; Bobby Orillaneda, "Of Ships and Shipping: The Maritime Archaeology of Fifteenth Century CE Southeast Asia", in Early Navigation in the Asia-Pacific Region (A Maritime Archaeological Perspective), Edited by Chunming Wu, Springer Science and Business Media, Singapore, 2016, p. 36.

- موقعها الجغرافي المميز الرابط بين مركزين بحريين مهمين في المنطقة، وهما ملقا وجزر الملوك؛ فديماك تقع على طول مضيق موريا *Muria*، وهو الأمر الذي مكنها من أن تصبح ممرا استراتيجيا لا غنى عنه في حركة التجارة بين الغرب والشرق(١٥٣).
- امتلاك المدينة لميناء كبير وآمن لحركة التجارة والملاحة؛ فقد كان محميا بجبل موريا، كما أن مياهه لا تحتوي على صخور بارزة، ولم تكن كذلك من الضحالة بحيث تتسبب في إعاقة الحركة الملاحية(١٥٤).
- تمتع مملكة ديماك بإمكانيات كبيرة ووفيرة في الموارد الطبيعية(١٥٥).
- نجاح حكامها في بناء علاقات جيدة مع الدول الحليفة والصديقة (مثل سيريبون وسوندا كيلابا وملقا وباساي)، وحكمتهم وحزمهم في التعامل مع الخصوم والمنافسين (مثل باجاجاران والبرتغاليين).
- الاستفادة من إرث مملكة ماجاباهيت، التي كانت سابقا تسيطر على المدن الجاوية الساحلية وتجارة المنطقة(١٥٦).

وفي هذا السياق يمكن كذلك الإشارة إلى الاستفادة الكبيرة التي تحققت للموانئ السومطرية والجاوية بعد سقوط ملقا- المركز التجاري الأهم في المنطقة- في يد

---

(153) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 44; Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 1, 4; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 6; Maryam, *Op. cit*., p. 70.

في الواقع كان مضيق موريا في السابق عريضا جدا وقابل للملاحة بشكل جيد، لذلك كان بإمكان السفن التجارية القادمة من سيمارانج أن تسلك هذا الطريق المختصر للإبحار باتجاه ريمبانج، ولكن منذ القرن ١٧م لم يعد هذا الطريق المختصر صالحا للملاحة. انظر:

H. De Graaf, *Op. cit*., p. 44; Fitri Annisa, *Op.* cit., p. 10; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 19

(154) H. De Graaf, *Islamic States of* Java, P. 6; Agus Susilo, *Op. cit*., P. 75; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 16.

(155) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 75.

(156) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 1, 11.

البرتغاليين عام ٩١٧هـ/١٥١١م؛ فالمحاولات التي قام بها هؤلاء الأوربيون للسيطرة على مضيق ملقا جعل التجار– خاصة المسلمين– يتوجهون إلى الساحل الغربي لسومطرة ومضيق سوندا كطرق تجارية بديلة لتجاوز ملقا، وقد أدى هذا التطور المهم إلى علو شأن عدد من المراكز التجارية الإسلامية الجديدة في سومطرة وجاوة، مثل ديماك وآتشيه وبانتين وجريسيك وتوبان(١٥٧). جدير بالذكر أن المؤسس الأول رادين فتاح حاول مبكرا السيطرة على طرق التجارة المهمة في الأرخبيل؛ لذلك فقد أرسل ابنه أديباتي يونس إلى ملقا وبالمبانج بهدف السيطرة على مينائي هاتين المدينتين، بوصفهما المركزين الأهم في المنطقة لتجمع التجار والتجارة من بلاد الهند وبلاد الصين والأرخبيل(١٥٨). وعن هذه الرغبة التوسعية لدى هذا السلطان يقول أحد الباحثين: "منذ أن نصب رادين باتاه نفسه ملكا على جاوة كان لديه هوس في قيادة ديماك لتصبح قوة مهيمنة ومسيطرة على الطرق الرئيسية للتجارة البحرية في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا"(١٥٩).

والواقع إن ديماك– وبقية الموانى الخاضعة لها على الساحل الشمالي مثل توبان وجريسيك وجيبارا– كانت تمثل إحدى المحطات والطرق المهمة في شبكة التجارة العالمية في ذلك الوقت؛ فقد كان هذا الطريق يمتد شرقا إلى جزر التوابل (جزر الملوك) والموانى الجنوبية الغربية لسولاويزي، وشمالا على طول الساحل الجنوبي والشرقي لبورنيو وحتى جزيرة مينداناو وما وراءها، وغربا إلى موانى الساحل الشرقي لسومطرة وملقا، ومن هناك كان هذا الطريق يتقاطع مع طريق تجاري آخر يضم الموانى الواقعة على طول الساحل

---

(157) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 209; Colin Brown, *Op. cit*., p. 33; Tri Singgih, *Op. cit*., p. 75; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 12; Abdul Rohim, *Op. cit*., p. 2; Nur Afidah, *Op. cit*., p. 69.

(158) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 77.

(159) Hafid Setiadi, "Islam and Urbanism in Indonesia: The Mosque as Urban Identity in Javanese Cities", in *The Changing World Religion Map (Sacred Places, Identities, Practices and Politics)*, Editors: Stanley Brunn, Springer, 2015, p. 2425.

الهندي، والمرتبطة بالأرخبيل الإندونيسي في الشرق وبالبحر الأحمر في الغرب[١٦٠]. وعلى ذلك يمكننا القول إن ديماك نجحت في أن تفرض سيطرتها على طريق التوابل في منطقة جنوب شرق آسيا طوال النصف الأول من القرن ١٠هـ/١٦م[١٦١].

من ناحية أخرى، بالرغم من أن ديماك- وبقية المواني الأخرى الواقعة على الساحل الشمالي- قد نجحت في التخلص من التبعية لمملكة ماجاباهيت الهندوسية وأصبحت تتمتع باستقلال سياسي، إلا أنها كانت لا تزال بحاجة إلى منتجات المناطق الداخلية، التي ظلت خاضعة لفترة طويلة لحكم أمراء هندوس. وفي هذا السياق يذكر تومي بيرس أن جميع منتجات ومحاصيل جاوة- وفي مقدمتها الأرز- إنما كان مصدرها المناطق الداخلية الوثنية. في المقابل كانت تلك المناطق الداخلية في حاجة ماسة إلى السلع التجارية المتنوعة التي كانت تصل إلى ميناء ديماك من شتى البلدان الخارجية، وبناء على ذلك فقد كانت هذه الحاجات والمصالح المتبادلة عاملا مساعدا على استمرار حركة التجارة ما بين ديماك المسلمة والمناطق الداخلية الهندوسية لجاوة الوسطى[١٦٢]. وقد ارتبطت ديماك بتلك المناطق الداخلية من خلال عدد من الأنهار، التي بواسطتها كان يتم نقل السلع والبضائع والحبوب، وذلك بواسطة السفن الصغيرة والمتوسطة الحجم[١٦٣]. ويعد نهر تونتانج *Tuntang* وروافده من أهم هذه الممرات البحرية التي لعبت دورا مهما في الحفاظ على التقدم الاقتصادي لديماك. وهناك نهر آخر لعب كذلك دورا مهما في ربط المدينة تجاريا بالمناطق الداخلية، وهو نهر سيرانج *Serang*، الذي

---

(160) Kenneth Hall, *Op. cit*., P. 327.

(161) Jean Couteau, *Op. cit*., P. 162.

(162) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 180; Kenneth Hall, *Op. cit*., P. 283; Bobby Orillaneda, *Op. cit.*, p. 36.

(163) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 7.

يقع بين ديماك وجيبارا، ومنبع هذا النهر في جبل ميربابو *Merbabu* ووسط جبال كيندينغ *Kendeng*، علما بانه حتى نهاية القرن ١٢هـ/١٨م كان من الممكن إبحار القوارب التجارية الصغيرة عبر هذا النهر وصولا إلى المناطق النائية(١٦٤).

لقد تمثل النجاح التجاري الأكبر لديماك في قدرتها على أن تصبح المصدر والمخزن الرئيس على ساحل جزيرة جاوة للحبوب والمواد الغذائية التي اشتهرت بها تلك الجزيرة– وفي مقدمتها الأرز– ثم القيام بتصديرها إلى البلدان الواقعة في الشرق، خاصة جزر الملوك، أو تلك الواقعة في الغرب، مثل ملقا وسومطرة وباساي(١٦٥). وفي الحقيقة، كان المؤرخ البرتغالي تومي بيرس قد أشاد كثيرا بالأرز الجاوي، ذاكرا أنه لا يوجد له مثيل في أي منطقة أخرى، وواصفا إياه بأنه شديد البياض والنقاء، مضيفا أنه يوجد منه أربعة أو خمسة أنواع مختلفة(١٦٦). ومع بدايات القرن ١٠هـ/١٦م بدا أن ديماك أصبحت مهيمنة ومحتكرة لهذا المحصول، الذي كان يصل إليها من المناطق الزراعية الواقعة على ضفتي مضيق موريا؛ فرغم أن مدينة جوانا *Juwana*– الواقعة إلى الشرق من ديماك– كانت تمثل منافسا قويا لديماك في تجارة هذا المحصول في المنطقة، إلا أن تدمير هذه المدينة على يد جوستي باتيه Gusti Patih– القائد العام لمملكة ماجاباهيت– عام ٩١٩هـ/١٥١٣م جعل ديماك هي المسيطرة وحدها على هذه التجارة في منطقة المضيق(١٦٧).

---

(164) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 44-45; Ali Romdhoni, *Op. cit*., P. 11; M. Nur Rokhman, *Op. cit*., p. 48; A. Wink, *Op. cit*., p. 232-233.

(165) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 1-2, 4; D. Hall, *Op. cit.*, p. 243; Maryam, *Op. cit*., p. 71.

(166) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 180.

(167) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 44; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 65.

وعند الحديث عن العلاقات التجارية التي ربطت ديماك بالمحيط المجاور لها في سومطرة ومنطقة الأرخبيل، تظهر لنا باساي وملقا كأهم مركزين تجاريين بالنسبة لديماك. والواقع أنه حتى ما قبل ظهور وصعود نجم ديماك في جزيرة جاوة كانت مملكة ماجاباهيت تنخرط في علاقات تجارية وثيقة مع باساي؛ فعن طريقها تم تسويق توابل جاوة في كل مدن جزيرة سومطرة، وفي المقابل استقبلت ماجاباهيت من هذه المدينة كميات كبيرة من الفلفل السومطري. وبعد انهيار ماجاباهيت حافظ حكام ديماك على استمرار تلك العلاقات التجارية مع باساي، بل إن العلاقات ازدادت متانة وقوة بعدما أصبح الدين الإسلامي رابطا ما بين المملكتين. ويعد الأرز هو السلعة التجارية الأهم التي كان يتم شحنها من ميناء ديماك باتجاه باساي، بينما استقبلت ديماك وبقية موانئ السلطنة كميات كبيرة من الفلفل السومطري القادم من باساي، الذي كان يتم تسويقه في معظم أسواق جاوة، بالإضافة إلى الشمع والعسل والذهب(١٦٨).

من جانبها، كانت ملقا مهتمة باستيراد كميات كبيرة من الأرز الجاوي، لذلك حرصت على الدخول في علاقات وثيقة مع ديماك(١٦٩). بل إن أحد الباحثين يذكر أن الأهمية المتزايدة لسلطنة ديماك كانت مرتبطة بعلاقاتها التجارية المتميزة مع ملقا؛ حيث إنها كانت تصدر لها الأرز والمنتجات الغذائية المزروعة داخل جزيرة جاوة(١٧٠). وتشير المصادر إلى أن السلطة في ديماك قامت بتخصيص حوالي ٤٠ سفينة كبيرة (جنك) لنقل البضائع إلى ملقا، وفي المقابل كان يصل إلى ميناء ديماك عدد كبير من جنوك تلك المدينة الملايوية محملة بشتى صنوف السلع والبضائع لمقايضتها بالمواد

(168) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 8; Djoko Suryo, *Op. cit*., p. 5.

(169) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 185; D. Hall, *Op. cit.*, p. 243.

(170) M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit*., p. 83.

الغذائية[١٧١]. والواقع أن عملية التبادل التجاري ما بين المدينتين لم تقتصر على سلعة الأرز فحسب، وإنما كانت السفن الجاوية تمد أسواق ملقا كذلك بالتوابل القادمة من جزر الملوك، وبصفة خاصة الفلفل، هذا بالإضافة إلى التمر هندي، في حين أن تلك السفن كانت تعود إلى أسواق جاوة بكميات كبيرة من المنسوجات الهندية الشهيرة الواصلة من كمباي– التي وجدت لها سوقا رائجا داخل المدينة– والسلع المعدنية والمجوهرات، فضلا عن بعض المنتجات الصينية الثمينة[١٧٢]. وكما هو الحال مع باساي، فإن وحدة المعتقد الإسلامي التي جمعت ما بين حكام ملقا وديماك كانت عاملا حاسما في توثيق عرى تلك العلاقات التجارية بين الطرفين[١٧٣].

وبصفة عامة يمكننا القول إن علاقات ديماك التجارية بملقا كانت أقوى وأكثر ترابطا من مثيلتها مع باساي، ولعل سبب ذلك يعود إلى التطور والازدهار الكبير الذي أصبحت عليه ملقا آنذاك، بحيث إنها أصبحت تمثل سوقا عالميا يجمع شتى صنوف السلع والبضائع من البلدان المختلفة، هذا فضلا عن تنامي قوتها السياسية في المنطقة، في الوقت الذي كانت فيه باساي تمر بمرحلة تراجع، خاصة مع نمو سلطنة آتشيه بشكل متزايد. علاوة على ذلك، كان ميناء ملقا يعتبر– بالنسبة للسفن القادمة من ديماك– أكثر أمانا من ميناء باساي[١٧٤].

أما فيما يخص العلاقات التجارية بين مملكة ديماك وبلاد الصين، فلا شك أن هناك روابط وثيقة ومميزة قد ربطت بين الجانبين، بل إن الروايات المحلية تشير– كما

---

(171) M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit*., p. 111.

(172) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 180;Tri Singgih, *Op. cit.*, P. 74; Djoko Suryo, *Op. cit*., p. 5.

(173) Ismail Nasution, *Op. cit.*, p. 8.

(174) *Ibid*.

تم ذكره مسبقا- إلى أن تلك الجاليات الصينية لعبت دورا ملموسا في ظهور مملكة ديماك المسلمة للوجود، وفيما حققته لاحقا من تقدم وازدهار. وفي الواقع رغم أن ظهور التجار الصينيين على الساحل الشمالي لجاوة- وفي منطقة جنوب شرق آسيا بصفة عامة- يعود إلى فترة حكم أسرة سونغ (٩٦٠-١٢٧٩م) ثم من بعدها يوان (١٢٧١-١٣٦٨م)، إلا أن هذا التواجد شهد زيادة ملحوظة على عهد أسرة مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م)، التي فرضت هيمنتها البحرية والتجارية في المنطقة بفضل امتلاكها لأسطول قوي- تحت قيادة الأدميرال المسلم تشنغ هو- الذي قام بزيارة معظم مدن وسواحل الأرخبيل وغرب آسيا[١٧٥]. وخلال القرن ٩هـ/١٥م كان الوجود الصيني في جاوة أكثر أهمية من أي مكان آخر في الأرخبيل، بما في ذلك الساحل السومطري، خاصة وأن عددا كبيرا منهم كان قد اعتنق الدين الإسلامي، ومن هنا فقد برزت الآراء التي تنسب الفضل في وصول الإسلام لجاوة إلى هؤلاء الصينيين. ومع النصف الأول من القرن ١٠هـ/١٦م، "مع انخفاض الاتصال المباشر بين الصين وجنوب شرق آسيا بشكل كبير، اندمج هؤلاء التجار الصينيون المهاجرون أكثر فأكثر داخل مجتمع باسيسير (الموانى الجاوية الساحلية)، وكثيرا ما نظر إليهم باعتبارهم جاويين وليس صينيين"[١٧٦].

وكانت جزر الملوك تمثل كذلك أهمية كبيرة لديماك من الناحية التجارية، وذلك بسبب كونها المصدر الرئيس لإنتاج التوابل- خاصة القرنفل وجوزة الطيب- في منطقة جنوب شرق آسيا، حتى أنها كانت تلقب بجزر التوابل، لذلك رأينا تجار ديماك يتوجهون بسفنهم إليها حاملين معهم الأقمشة الهندية الشهيرة (المتحصلين عليها من ملقا) والمجوهرات من أجل مبادلتها بتلك التوابل. وفي بعض الأحيان كانت لا تخضع تلك

(175) A. Wink, *Op. cit*., P. 230; J. Mills, *Op. cit*., p. 69-70; Sumanto Al Qurtuby, *Op. cit*., p. 62.

(176) A. Wink, *Op. cit*., P. 230-231; Sumanto Al Qurtuby, *Op. cit*., p. 62.

التوابل لنظام المقايضة، وإنما يتم دفع قيمتها بالعملات أو النقود(١٧٧). من ناحية أخرى، أمدت ديماك تلك الجزر بكميات كبيرة من خشب الساج(١٧٨).

ومنذ القرن ٩هـ/١٥م اعتاد تجار جاوة على زيارة جزيرة تيمور سنويا للحصول على خشب الصندل وشمع النحل. والواقع أن هذه المنتجات لم تكن تستهلك محليا على نطاق واسع، وإنما كانت الكمية الأكبر منها يعاد تصديرها إلى مناطق أخرى مثل بلاد الصين والدول الواقعة غرب مضيق ملقا. كما توجه هؤلاء التجار كذلك إلى بالي وسومبا *Sumba* للحصول على الخيول والرقيق والصوف وبعض المنتجات الغذائية، وذلك مقابل الملابس والمنسوجات(١٧٩). وفي هذا السياق يمكننا كذلك ذكر سولاويزي وكاليمانتان كإحدى الوجهات المفضلة لتجار سلطنة ديماك؛ فقد تحصلوا من الأولى على الذهب مقابل الملابس الهندية، أما الثانية فقد زودتهم بالذهب والماس والأخشاب، مقابل الملابس وبعض الحبوب الغذائية(١٨٠).

وفيما يتعلق بحجم ومعدل التجارة التي كانت تتم في موانى السلطنة– على طول الساحل الشمالي لجاوة– فإن هناك صعوبة كبيرة للحصول على بيانات دقيقة وموثقة في هذا الخصوص. ومع ذلك يقدم أحد الباحثين دراسة قيمة عن حجم التجارة في منطقة الأرخبيل مقارنة مع منطقة جنوب شرق آسيا بشكل عام؛ فهو يذكر أنه خلال القرنين ٩هـ و١٠هـ/١٥م و١٦م كانت التجارة البحرية في جنوب شرق آسيا تجذب ما يقارب ٤٨٠ سفينة كبيرة وصغيرة الحجم، التي كانت تتراوح حمولتها من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ طن، ومن بين هذا العدد، كان هناك من ٣٣٠ إلى ٣٤٠ سفينة مخصصة للتجارة بين الجزر

(177) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 2, 4; Djoko Suryo, *Op. cit*., p. 6.

(178) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 8.

(179) Tri Singgih, *Op. cit*., P. 74; Djoko Suryo, *Op. cit*., p. 6.

(180) Djoko Suryo, *Op. cit*., p. 6.

في منطقة الأرخبيل، و١١٥ سفينة فقط تخدم التجارة الهندية والصينية. وهذه الأرقام تأتي كاشفة للنشاط التجاري الضخم الذي كان يتم بصفة خاصة على سواحل جاوة وسومطرة وملقا(١٨١).

أما عن طريقة التعامل في البيع والشراء داخل الأسواق، فيمكن القول إنه لم يكن يوجد في ديماك- وجاوة بصفة عامة- عملات معدنية مصنوعة من الذهب أو الفضة، لذلك فإنه إلى جانب نظام المقايضة الذي كانت تتم به معظم العمليات والصفقات التجارية، كانت تستخدم أحيانا العملات المعدنية النحاسية القادمة من الصين، كما أشارت إلى ذلك بعض الوثائق الصينية، هذا فضلا عن استخدام العملة البرتغالية التي كانت تعرف باسم كروزادو *Cruzado*(١٨٢).

٤. مجتمع ديماك وأهم المنشآت الدينية والعلمية:

أ- عناصر السكان وطبقات المجتمع:

بوصفها مركز تجاري رائج وذائع الصيت على الساحل الشمالي لجاوة، كان مجتمع ديماك يتشكل من خليط متنوع من السكان؛ فقد وفد إليها واستوطنها جاليات كبيرة من التجار القادمين من شتى البلدان، وفي مقدمتهم التجار المسلمون المنتسبون إلى أعراق مختلفة (مثل العرب والفرس والهنود الكوجراتيين والبنغاليين والصينيين والملايويين)؛ فبحسب كلمات المؤرخ البرتغالي بيرس، "أراد هؤلاء التجار أتباع محمد ﷺ أن يدخلوا إلى مدن الساحل الجاوي عقيدتهم الإسلامية رفقة بضائعهم التجارية"(١٨٣).

---

(181) Tri Singgih, *Op. cit*., P. 75.

(182) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 181; Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 8; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 70.

(183) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 174, 182.

والواقع أننا لا نمتلك معلومات كثيرة أو موثقة عن مساحة ديماك وسكانها مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م؛ فليس لدينا إلا إشارات قليلة يذكرها لنا المؤرخ البرتغالي تومي بيرس في هذا الخصوص؛ فهو يذكر مثلا أن منطقة ديماك تتميز بمساحتها الكبيرة مقارنة بالمدن الساحلية المحيطة بها(١٨٤). ويضيف أنه كان يوجد بالمدينة ما بين ثمانية إلى عشرة آلاف منزل. وبناء على هذه المعلومات، وإذا ما افترضنا أن كل منزل كان يشتمل على ٥ أشخاص، فإن عدد سكان ديماك في ذلك الوقت كان يتراوح ما بين ٤٠ إلى ٥٠ ألف نسمة، وهي نسبة سكانية مميزة لمدينة ديماك في ذلك الوقت(١٨٥). في حين أن أحد الباحثين يذهب إلى القول بإن النهضة والازدهار الذي كانت عليه ديماك خلال القرن ١٠هـ/١٦م جعلها من أكثر المدن المأهولة بالسكان في جزيرة جاوة، وهو يرجح أن يكون عدد سكانها آنذاك قد تراوح ما بين ٦٠ ألف إلى ٨٠ ألف شخص، في حين أن مدنا مثل برونـاي وجريسيك وباساي كانت تمتلك نصف هذا العدد تقريبا. هذه النسبة كانت مقاربة لمثيلتها داخل ملقا، المدينة الأكثر شهرة في منطقة الأرخبيل مع بدايات هذا القرن(١٨٦).

وفيما يخص الطبقات الاجتماعية داخل ديماك، فيمكن تقسيم المجتمع آنذاك إلى ثلاثة مستويات؛ وهي **الطبقة العليا والطبقة المتوسطة والطبقة الدنيا**. ويندرج تحت **الطبقة الأولى**– وهي الأكثر احتراما وتقديرا بسبب وضعها المميز وحياتها الاقتصادية المرفهة– الملك وعائلته، والمسؤولون الملكيون رفيعو المستوى، بالإضافة إلى كبار العلماء والمشايخ (الأولياء). أما بالنسبة للملك أو السلطان فيعد هو الشخصية الأبرز والأهم في المملكة، وهو الشخصية العليا في الهرم السكاني، كما أنه يمثل "الشخصية الأنموذج" سواء داخل دائرته الخاصة أو بالنسبة لجميع فئات المجتمع. والروايات تصور هذا الملك

(184) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 184.

(185) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 184; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., P. 47.

(186) Anthony Reid, *Op. cit*., P. 84.

القدوة بأنه سليل أسرة عريقة تعود بأصولها إلى ملوك ماجاباهيت، أصحاب الحكم والنفوذ في جميع أنحاء جاوة ما قبل سطوع نجم ديماك وفرض هيمنتها على الجزيرة. ويمكن في الواقع النظر إلى مثل هذه القصص على أنها وسيلة لإضفاء الشرعية على حكم ملوك ديماك، بوصفهم الوريث الشرعي لسلالة ماجاباهيت. وإلى جانب الملك هناك زوجاته وأبناؤه وغيرهم من الأقارب، الذين تربطهم صلة قرابة بالدم أو المصاهرة مع السلطان؛ فوفقا لما سجله تومي بيرس، فإن العديد من بنات وأخوات رادين باتاه كن متزوجات من أمراء وملوك جاويين بارزين(١٨٧).

وإلى جانب الحاكم كان هناك **طائفة من كبار رجال الدولة** الذين كانوا يتقلدون عددا من الوظائف المهمة في المملكة، ودائما ما كانوا موضع ثقة الحاكم ونالوا لديه الحظوة والمكانة السامية. وإلى جانب هؤلاء المسئولين "المدنيين" يوجد كذلك مسؤولون مختصون بالشئون الدينية والشرعية، وهم العلماء وكبار رجال الدين بالمملكة، وكانوا عادة ما يسمون بالأولياء، الذين لعبوا دورا محوريا في قيام مملكة ديماك والتمكين لها، كما تم الإشارة إلى ذلك مسبقا (١٨٨). وقد كان هؤلاء "الدعاة الفقهاء" مشمولين برعاية وعناية الملك، كما أن تأثيرهم كثيرا ما كان يتخطى المسائل والأمور الدينية ليشمل كذلك شئون السياسة والحكم، "تماما كما كان هناك تأثير للبراهمة على ملوك الهندوس في فترة ما قبل الإسلام" (١٨٩). وكانت كل فئة من مجموعات النخبة هذه تميل إلى الحفاظ على مكانتها العليا ومكتسباتها داخل المجتمع؛ فالملوك وأسرهم كانوا حريصين على توريث مناصبهم إلى أبنائهم من بعدهم، كما أنهم عملوا على تزويج أبنائهم من أقاربهم. وبالمثل، فعل الأولياء والعلماء الكبار الشيء نفسه مع أبنائهم وأقاربهم. ولعل الشيء الجدير

(187) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 185; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., P. 48-49.

(188) Supratikno Rahardjo, *Op. cit.*, P. 49.

(189) Supratikno Rahardjo, *Op. cit.*, P. 50.

بالملاحظة في هذا السياق هو أن أفراد هذه النخبة لا ينتمون في أصولهم إلى جزيرة جاوة، وإنما أتوا إليها من مناطق خارجية؛ فالروايات المحلية تشير مثلا إلى أن سلاطين ديماك هم من أصل صيني، بينما جاء كبار العلماء (الأولياء) من بلدان متعددة مثل بلاد الصين وبلاد فارس وبلاد الهند وبلاد العرب(١٩٠).

الطبقة الوسطى: وتضم هذه المجموعة العلماء المسئولين عن نشر تعاليم الإسلام وإقامة شعائره، وقد اهتمت السلطة الحاكمة بهذه الفئة وأولتها رعايتها وعنايتها، وذلك نظرا للدور المهم الذي كانوا يقومون به في نشر الدين الإسلامي بين سكان الجزيرة الجاوية(١٩١). ويندرج كذلك تحت هذه الفئة الجنود (العسكر)، الذين كانوا في غالبيتهم شبابا متطوعين من بين ملاك الأراضي والمزارعين الأحرار؛ فهم "أناس مدنيون متدينون ومسلحون"، وقد كانوا بمثابة اليد اليمنى للسلطان التي مكنته من الاستيلاء على عدد كبير من البلدان، وتوسيع رقعة مملكته. وكان لهؤلاء الجنود مسجدهم الخاص، وزعيمهم الخاص، وكانوا يتمركزون بالقرب من القصر السلطاني. وتضم هذه الطبقة كذلك **التجار المقيمين في المدينة والقادمين من بلاد مختلفة**، وفي مقدمتهم الصينيون والهنود والعرب. والواقع لم تمدنا الروايات المحلية بمعلومات ذات قيمة كبيرة عن هذه الفئة، لكن مؤلفات الرحالة الأجانب (خاصة البرتغاليين) تتحدث دائما عن المكانة المهمة لهؤلاء التجار، خاصة الجالية الصينية، الذين تمكنوا من بسط هيمنتهم التجارية في معظم المدن الساحلية الجاوية(١٩٢).

---

(190) H. De Graaf, *Op. cit.*, P. 47; A. Wain, *Op. cit.*, p. 422;

محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٨٤، ٢٩٥؛ ايرا لابيدس، *المرجع السابق*، ص ٦٤١؛ بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٢٩٩.

(191) Supratikno Rahardjo, *Op. cit.*, P. 51.

(192) Supratikno Rahardjo, *Op. cit.*, P. 51.

الطبقة الدنيا: وهي تقبع في مؤخرة السلم الطبقي، وكانت تضم المزارعين والصيادين والحرفيين وصغار التجار. وهذه الفئات لم تجد اهتماما من قبل الرواة المحليين أو المؤرخين والرحالة الأجانب الذين ركزوا جل اهتمامهم في كتاباتهم على أفراد الطبقة العليا. ومع ذلك، بناء على معلومات غير مباشرة من القصص التقليدية المحلية، يمكن القول إن العدد الأكبر من هذه الفئة يتشكل من المزارعين، الذين كانوا يقومون بالعمل في حقول الأرز وأنشطة الزراعة والبستنة. ولما كانت ديماك تتميز بكونها منطقة ساحلية، فقد كان هناك بعض السكان الذين يعتمدون في حياتهم ومعيشتهم بشكل أساسي على صيد الأسماك، واستخراج الملح. أما الحرفيون فهم مجموعة من الأشخاص الذين كانوا يعملون على توفير الاحتياجات الخاصة لفئات أخرى من المجتمع، سواء فيما يتعلق بصناعة الأدوات المنزلية مثل الفخار وأدوات الطبخ والمعدات المصاحبة لها، أو الآلات والمعدات الزراعية مثل المعازق والمحاريث والمناجل وغيرها من الأدوات الحادة. هذا بالإضافة إلى صناع أدوات النقل المائي مثل القوارب بمختلف أنواعها وأحجامها، وكذلك معدات الصيد. وينضم كذلك النجارون والبناؤون إلى هذه المجموعة. وأخيرا هناك صغار التجار الذين يقومون بأعمال تجارية بسيطة وعلى نطاق ضيق؛ مثل تجار التجزئة الذين يبيعون سلع البقالة في أكشاك صغيرة، أو حتى يبيعون "فوائض صغيرة" من نتاج أعمالهم الشخصية في المنزل[١٩٣].

ب-المنشآت المعمارية الدينية والعلمية:

فيما يتعلق بالتراث الأثري لسلطنة ديماك، فإنه لا يمكننا العثور في العصر الحالي على الكثير من المنشآت والمباني، ولعل مسجد ديماك ومسجد كومان في سيمارانج هما الأثران الوحيدان الباقيان من حضارة تلك المملكة؛ فكل الشواهد المتعلقة بعظمة

(193) Supratikno Rahardjo, *Op. cit.*, PP. 52-53.

ديماك– سواء قصورها ومؤسساتها وأحواض بناء السفن الخاصة بها– تم تدميرها جميعا خلال الصراعات والحرب الأهلية التي اندلعت عقب وفاة السلطان ترينجانا ما بين الأطراف المتنازعة على السلطة والحكم، ثم الحرب التي دارت في ديماك خلال القرنين ١١و١٢هـ/١٧ و١٨م(١٩٤).

مهما يكن من أمر، فإنه يمكننا القول إن أهم وأشهر منشآت ديماك في تلك الحقبة التاريخية تمثلت في القصر الملكي والمسجد الكبير والميدان أو الساحة، وقد كان هناك ارتباط وثيق بين هذه المؤسسات، وهي كذلك تشتمل على العديد من المعاني الرمزية؛ فالقصر هنا يرمز إلى الحاكم أو السلطة التي تسوس الناس، بينما يرمز المسجد إلى الدين باعتباره حامي الناس، أما الميدان فيرمز إلى السكان أنفسهم، وعلى ذلك فوحدة القصر والمسجد والميدان كانت تعني الاتحاد والتآلف بين الحكام والدين (أو بالأحرى علماء الدين) والعامة. ومن ثم فقد كان هناك التزام أخلاقي للسلطان تجاه شعبه، من الاحسان إليهم والحفاظ على أمنهم وسلامتهم، وفي المقابل فإن الأهالي كانوا ملتزمين بالطاعة والولاء لسلطانهم وتنفيذ أوامره، وكان الدين الإسلامي وشريعته وتعاليمه هو حاكم تلك العلاقة ما بين الطرفين(١٩٥).

وبالنسبة لتصميم المباني والقصور، فمن المسلم به أن سلاطين ديماك المسلمين ومعاصريهم وخلفائهم في الممالك الإسلامية الأخرى قد ساروا على نفس النمط الموجود في إمبراطورية ماجاباهيت؛ فوفقا للقصص الجاوية، بعد استيلاء سلطان ديماك على عاصمة تلك المملكة الوثنية تم نقل أجزاء من مبانيها وقصورها إلى ديماك، كما أن بعض

(194) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 6; Anthony Reid, *Op. cit*., p. 206; Bobby Orillaneda, *Op. cit.*, p. 30; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 58.

(195) Eko Punto Hendro, "Demak Kingdom: Study of Environmental Condition and Geographical", in *E3S Web of Conferences 317, 04023*, ICENIS, 2021, P. 8.

أعمدة المسجد الكبير كان قد تم جلبها من ماجاباهيت، هذا فضلا عن أن من أشرف على عملية تأسيس قصور ديماك وسيريبون هو أحد البنائين الشهيرين القادمين من ماجاباهيت، ويدعى كي سيبيت Ki Sepet [١٩٦]. فضلا عن ذلك، فإن الاكتشافات الأثرية التي تمت في بعض مناطق جاوة أظهرت أن هناك نمطا تخطيطيا مشتركا بين المدن والقصور التي كانت موجودة في هذه الجزيرة منذ عصر مملكة ماجاباهيت الوثنية، وهذا الأمر بطبيعة الحال ينسحب على سلطنة ديماك؛ وبناء على ذلك فقد كان القصر الملكي لديماك الذي بناه المؤسس الأول رادين فتاح يقع في وسط المدينة، ومن المحتمل أنه كان محاطا بالخنادق والمياه زيادة في تحصينه، كما كان يوجد أمامه ساحة أو ميدان كبير، وإلى جواره تم إنشاء عدة مبان مقدسة، مثل الأضرحة والمسجد الكبير، هذا فضلا عن وجود الأسواق بالقرب من هذا القصر. كما أن أسماء أحياء المدينة المحيطة بالقصر كانت تشير إلى نمط المستوطنات العمرانية في العصور القديمة، المجمعة على أساس المكانة الاجتماعية والمهنية والعرق والدين، أي أن أفراد كل طائفة كانوا يتجمعون في منطقة محددة خاصة بهم[١٩٧]. وقد ذكر أحد الرحالة الهولنديين- ويدعى فوكير Fokkir الذي زار ديماك أوائل القرن ١٣هـ/١٩م- أنه رأى أنقاض هذا القصر الملكي بالقرب من المسجد والميدان، وذلك قبل أن يتم إزالته ويحل مكانه أحد الطرق[١٩٨].

من جانب آخر، تشير روايات المؤرخين البرتغاليين التي تعود إلى القرن ١٠هـ/١٦م إلى أن ديماك- ومعظم مدن جاوة الساحلية- كانت محصنة بالأسوار

---

(196) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 79; Noor Idham, "Javanese Islamic architecture: adoption and adaptation of Javanese and Hindu-Buddhist cultures in Indonesia", in *Journal of Architecture and Urbanism*, Vol. 45, Published by Vilnius Gediminas Technical University, 2021, p. 12; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 30.

(197) Eko Hendro, *Op. cit*., pp. 8, 9; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 59.

(198) Eko Hendro, *Op. cit*., P. 9.

والجدران ذات الأعمدة، وهو أمر – فيما يبدو – لم يكن موجودا خلال الفترة التي كان فيها الساحل الجاوي خاضعا لحكم ماجاباهيت. وربما يعود الاهتمام ببناء مثل هذه التحصينات– منذ القرن ٩هـ/١٥م– إلى الخطر الذي بدأ يمثله الداخل "الوثني"– وفي المقدمة مملكة ماجاباهيت– على تلك المناطق الساحلية التي بدأت آنذاك تتحول إلى الإسلام، وربما كذلك تكون تحصينات ديماك قد أصبحت أكثر قوة بعد وفاة السلطان ترينجانا، نتيجة الإضرابات والصراعات وحالة انعدام الأمن التي سادت المنطقة. من ناحية أخرى، فإننا في هذا السياق لا يمكن أن نهمل دور المؤثرات الصينية في مثل تلك البنايات؛ فقد أراد حكام ديماك أن يحاكوا المدن الصينية الكبيرة التي كانت محاطة بأسوار ضخمة [١٩٩].

- **مسجد ديماك الكبير:**

ارتبطت شهرة ديماك– بوصفها أكبر مركز لنشر التعاليم والقيم الإسلامية في منطقة جاوة– بمسجدها الكبير المسمى *Glagah Wangi*، وهذا الاسم يعني "القصب الفواح أو ذو الرائحة الطيبة"، وهذه التسمية ربما تعود إلى قدم وجود هذا المحصول في ديماك، أي منذ قدوم المؤسس رادين فتاح إلى هذا المكان الذي كان في البداية عبارة عن منطقة مستنقعية[٢٠٠]. والواقع– بحسب الروايات الجاوية المحلية– إن الفضل في بناء هذا المسجد يعود إلى الأولياء التسعة (وليسونجو)، الذين كانوا يهدفون إلى نشر الدعوة والتعاليم الإسلامية على نطاق واسع بين السكان؛ فقد شارك هؤلاء الأولياء في الأنشطة الدعوية المبكرة لهذا المسجد، كما أنهم كانوا يعقدون فيه مجالسهم للتداول والتشاور في

(199) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 80; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 58.

(200) Carool Kersten, *Op. cit*., P. 30; Ali Romdhoni, *Op. cit*., P. 7.

الشئون الدينية أو المسائل التي تخص أمور الحكم[٢٠١]. جدير بالذكر أن أئمة هذا المسجد كان يطلق عليهم اسم "بنغولو" *pengulu*، وهي كلمة في جاوة وبلاد الملايو تعني "الرأس والمقدم" بشكل عام، دون أن يكون لها معنى روحي خاص[٢٠٢]. وتذكر المصادر الجاوية أن مؤسس المملكة رادين فتاح هو أول من منح هذا اللقب لسونان بونانج، ونظرا لقيمة وأهمية هذا المنصب فقد تولاه كبار العلماء في جاوة[٢٠٣].

وهناك اختلاف حول تاريخ إنشاء وافتتاح هذا المسجد، فبعض الروايات تؤرخ هذا الحدث بعام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، وروايات أخرى ترجعه إلى عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م أو حتى ٩١٣هـ/١٥٠٧م[٢٠٤]. هذه الاختلافات تعود في الواقع إلى وجود لوحة مثبتة في الجدار بالقرب من محراب المسجد، ووفقا للتاريخ المسجل عليها فإنه يرجع إلى العام الجاوي ١٤٠١[٢٠٥]، وهو الموافق لسنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م. لكن في الوقت نفسه يوجد نقش آخر على البوابة الرئيسة للمسجد مسجل عليها السنة الجاوية ١٤٢٨، وهي التي توافق ٩١٢هـ/١٥٠٦م. والواقع إن هذا التاريخ الأخير يأتي متزامنا مع تنامي قوة سلطنة

---

(201) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 77-78; H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 6; Carool Kersten, *Op. cit*., P. 30; Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 161; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 28.

(202) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. ٥٧; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 51.

(203) Maryam, *Op. cit*., P. 67.

(204) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 79; Carool Kersten, *Op. cit*., P. 30; Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 164.

(٢٠٥) كان يتم حساب السنة الجاوية قبل الانتقال إلى حقبة سلطنة ماتارام الإسلامية وفقا لتقويم ساكا *saka* الهندي، الذي يعود ظهوره إلى عام ٧٨م (أي أن التقويم الميلادي الجريجوري يسبق تقويم ساكا بـ ٧٨ سنة). أما الظهور الحقيقي للتقويم الجاوي- الذي أصبح متشابها مع التقويم الهجري الإسلامي في قياس السنة على أساس الأشهر القمرية- فيعود الفضل فيه إلى جهود سلطان ماتارام أغونغ Agung، وذلك خلال النصف الأول من القرن ١٧م، وتحديدا عام ١٦٣٣م. انظر:

H. De Graaf, *Op. cit*., P. 118 ; M. Ricklefs, *Op. cit*., p. 4-5.

ديماك، لذلك قد يكون من المقبول القول إن عملية تطوير وتجديد قد حدثت في هذا العام للمسجد، الذي مر عليه آنذاك حوالي ٣٠ عاما منذ عملية التأسيس[٢٠٦].

أما عن عملية البناء، فوفقا للقصص التاريخية الجاوية التقليدية، تم بناء المسجد من قبل الأولياء التسعة في ليلة واحدة. والسقف المركزي للمسجد يرتكز كالعادة على أربعة أعمدة خشبية عملاقة، وهي تتألف من عدة كتل مرتبطة ببعضها البعض. ويقال في الأسطورة إن العمود الذي يخص سونان كاليجاغا تألف من قطع من الخشب كانت متبقية من أعمال بناء الأولياء الآخرين، وأن سبب ذلك يعود إلى مجيئه متأخرا في الليلة التي كان يشيد فيها المسجد، لذلك "لم يستطع أن ينتج عملا كاملا". وبالرغم من ذلك، فإن الأساطير الخاصة بعملية البناء تمنح كاليجاغا مكانا مهما، وذلك لأنه كان له الفضل في تثبيت قبلة المسجد باتجاه مكة [٢٠٧]. من جهة أخرى، وبحسب التقاليد الجاوية، فإن المسجد كان يشتمل على خمسة أبواب، وهي ترمز إلى أركان الإسلام الخمسة[٢٠٨]. مهما يكن من أمر، فلا شك أن الروايات الجاوية الخاصة بعملية بناء الأولياء للمسجد قد انطوت على بعض الخرافات والأساطير، وربما أتى هذا الأمر كنوع من التكريم لأشخاص هؤلاء الأولياء في الأدب الجاوي، اعترافا بالدور المحوري الذي لعبوه– بصفة خاصة كاليجاغا– في عملية الأسلمة داخل جاوة[٢٠٩].

من ناحية أخرى، وبحسب حوليات الملايو، فقد شارك في بناء هذا المسجد عدد من أفراد الجالية الصينية الذين كانوا يعملون بمهنة النجارة في أحواض بناء السفن بمدينة سيمارانج، رغم أنهم لم يكونوا مسلمين، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور السمات المعمارية

---

(206) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 43, 52; Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., p. 29.

(207) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 40; Maryam, *Op. cit*., p. 67.

(208) Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., P. 30.

(209) H. De Graaf, *Op. cit*., pp. 41-42.

الصينية- إلى جانب التقاليد الهندوسية الجاوية- في هذا البناء[٢١٠]؛ وقد ظهر لنا هذا التأثير بشكل واضح في بناء سقف المسجد المكون من ثلاث طبقات متدرجة على شكل مثلث متساوي الساقين، وهذا النوع من السقف يختلف تماما عن الطراز المعماري السائد آنذاك في منطقة الشرق الأوسط؛ حيث كان السقف يتخذ شكل قبة. كما أن هذا السقف "مثلث الشكل" يُعتقد أنه يرمز إلى المكونات الثلاثة الأساسية للإسلام وهي: الإسلام والإيمان والإحسان[٢١١]. وقد تم العثور على العديد من لوحات الخزف الصينية التي تزخرف جدران مسجد ديماك الكبير، وهي تعود إلى عهد أسرة مينغ الصينية[٢١٢]. هذا بالإضافة إلى أنه كان يوجد على محراب هذا المسجد زخارف سلحفاة، مسجل عليها تاريخ تأسيس المسجد عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م. وقد فسر بعض الباحثين استخدام السلاحف- وهو حيوان موجود في الأساطير الصينية- بمعان عديدة؛ ففي التقاليد المحلية الجاوية يتم تفسيرها على أنها تعني الاحتراز وأخذ الحيطة عند دخول المسجد المقدس، بينما في التقاليد الصينية كانت السلاحف ترمز إلى طول العمر. وهناك رأي آخر يرى أن السلحفاة أصبحت رمزا للانتصارات التي حققتها أسرة مينغ الصينية على الدولة السابقة لها (أسرة يوان). وبالمثل يمكن تفسير هذا الرمز على أنه يشير إلى الانتصار الذي حققته ديماك على مملكة ماجاباهيت عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، وهي تقريبا الفترة نفسها التي تمت فيها عملية بناء المسجد. هذا التفسير جدير بالأخذ في الاعتبار في ظل العلاقات الودية التي كانت تربط جاوة بأسرة مينغ الصينية، والتأثيرات المتبادلة ما بين الجانبين[٢١٣].

---

(210) Slamet Muljana, *Op. cit*., P. 197; Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 237; Hafid Setiadi, *Op. cit*., p. 2425.

(211) Tan Ta Sen, *Op. cit*., p. 198; Hafid Setiadi, *Op. cit*., p. 2425; Hendra Kurniawan, *Op. cit*., p. 243; Nur Afidah, *Op. cit*., p. 70.

(212) Hendra Kurniawan, *Op. cit*., P. 244.

(213) Hendra Kurniawan, *Op. cit*., pp. 244-245.

جدير بالذكر، أن موقع المسجد تم اختياره بعناية ليكون بالقرب من ساحة المدينة، وتحديدا في الجانب الغربي منها، وهو اختيار يتوافق مع اتجاه القبلة، كما أن الساحة الأمامية للمسجد مثلت امتدادا لمكان الصلاة، وهو الأمر الذي منح المسجد مساحة كبيرة ومفتوحة، كانت مناسبة لاستقبال أعداد كبيرة من المصلين خاصة في صلوات الأعياد والجمع(٢١٤).

مهما يكن من أمر، فإن مسجد ديماك أصبح نموذجا لجميع المساجد الرئيسية في مدن جاوة، كما أن هذا المسجد لعب دورا مهما في الحياة الدينية لمسلمي جاوة الوسطى حتى العصر الحديث (القرن ١٣هـ/١٩م)، "بل إن هناك اعتقادا سائدا مفاده أن زيارة مدينة ديماك ومسجدها ومقابر الأولياء تشبه الذهاب إلى مكة". ولا شك أن هذه الأهمية التي نالها مسجد ديماك عبر العصور تعود إلى كونه يمثل مركز أول إمبراطورية إسلامية في جاوة، كما أنه يعد أقدم مؤسسة دينية إسلامية في شبه جزيرة جاوة(٢١٥). وبالرغم من تفكك مملكة ديماك مع بدايات النصف الثاني من القرن ١٠هـ/١٦م، إلى أن ولاء سكان جاوة لرجالهم المقدسين في ديماك ظل مستمرا، كما ظل هذا المسجد محفورا في الذاكرة الجماعية ليس فقط لسكان ديماك، ولكن أيضا لجميع السكان المسلمين في جاوة، واستمرت ديماك تمثل المركز الرئيس للحياة الدينية في جاوة الوسطى(٢١٦).

وفي المجمل، يمكننا القول إنه كما كان الاستيلاء على قصر ماجاباهيت يرمز لانتصار حركة الجهاد الإسلامي ضد آخر ملك وثني كافر (أو بعبارة أخرى انتصار الإسلام سياسيًا)، فإن بناء مسجد ديماك أصبح كذلك يرمز لدخول جزيرة جاوة في دار

(214) Noor Idham, *Op. cit*., P. 12.

(215) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 41, 129; Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., p. 7; Noor Idham, *Op. cit*., pp. 12-13; Slamet Muljana, *Op. cit*., p. 465.

(216) Supratikno Rahardjo, *Op. cit*., P. 61; Hafid Setiadi, *Op. cit*., p. 2426.

الإسلام[٢١٧]. ويختصر أحد الباحثين الدور المحوري الذي قام به هذا المسجد في حياة مسلمي جاوة بقوله: "مسجد ديماك الكبير كان هو رائد ومؤسس وحدة المسلمين في أرض جاوة تحت قيادة رادين فتاح"[٢١٨].

- **المؤسسات التعليمية (المدارس):**

وجدت في جاوة- كغيرها من المناطق الإسلامية الأخرى في بلاد فارس والبلدان العربية- بداية من القرن ٧هـ/١٣م مؤسسات تعليمية مستقلة عرفت باسم بيسانترين *pesantren*[٢١٩] "المدارس الإسلامية الداخلية". وقد كانت النواة الأولى لتلك المؤسسات عبارة عن حلقات للتعليم يدرس فيها الطلاب القرآن واللغة العربية على يد أحد المعلمين داخل المسجد أو في قاعة مخصصة لهذا الأمر، ثم مع مرور الوقت تطورت "بيسانترين" وأصبحت مدرسة قائمة بذاتها وذات نظام داخلي، تهدف إلى تزويد الطلاب بجرعة من العلوم الشرعية، التي تساعدهم على فهم دينهم، وإعداد بعضهم ليكونوا دعاة وناشرين للإسلام[٢٢٠].

ويعد مولانا إبراهيم- الذي عاش في القرن ٩هـ/١٥م، وأول الأولياء في تاريخ الإسلام في جاوة- من أشهر الذين أسسوا تلك المدارس في مدينة جريسيك، ثم تبعه رادين رحمات الذي أنشأ مدرسته في أمبيل التابعة لسورابايا، ونجح في استقطاب العديد من الشبان لتأهيلهم في مجال الدعوة، وأرسلهم إلى مختلف أنحاء جزيرة جاوة من أجل

---

(217) Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 161.

(218) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 81.

(٢١٩) بيسانترين مشتقة من كلمة "سانتري"، وهي تعني المتدين أو عالم الدين، وعلى ذلك فإن بيسانترين يقصد بها مكان إعداد وتأهيل هؤلاء المتعلمين. بينما في سومطرة كانت هذه المؤسسات تسمى سوراو *surau*. انظر: بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٨٩.

(220) Taufik Abdullah, *Op. cit.*, p. 303; نصر الله جاسام، *المرجع السابق*، ص ١١٠-١١١

نشر الدين والتعاليم الإسلامية. ومن بين هؤلاء الشبان الدعاة يبرز لنا أسماء أشهر "الأولياء" الذين على أيديهم ذاع صيت الإسلام في جاوة وخارجها؛ مثل سونان جيري وسونان بونانج وسونان دراجات ورادين فتاح مؤسس مملكة ديماك. وهناك مدرسة أخرى أسسها الولي سونان بونانج أوائل القرن ١٠هـ/١٦م في قرية بونانج، الواقعة على الساحل الشمالي لوسط جاوة، وقد شهدت هذه المدرسة إقبالا كبيرا من قبل طلاب العلم الذين أتوا إليها من شتى مناطق جاوة، ونتيجة لجهوده الدينية والعلمية فقد أطلق على بونانج لقب "*هانيكراواتي*"، الذي يعني "سلطان العلماء" أو "شيخ الإسلام"[٢٢١].

أما عن أول مدرسة في بينتارا ديماك– التي كانت آنذاك لا تزال منطقة غير مأهولة وعبارة عن مستنقعات تغمرها المياه– فقد أسسها رادين فتاح (قبل أن يصل للحكم في هذه المدينة) وصهره رادين رحمات، وذلك عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م. وقد أسفرت الجهود التي بذلها فتاح في هذا الجانب عن نتائج عظيمة؛ فقد ذاع صيت مدرسته الإسلامية وزارها كثير من طلاب وأهل العلم؛ وقيل إن فتاح "أصبح له أتباع من المسلمين الصينيين والجاويين المخلصين والمتحمسين"، الذين بلغ عددهم– خلال ثلاث سنوات– حوالي ألف شخص. وإلى جانب تلقي التعاليم والدروس الدينية، فقد كان هؤلاء الأتباع يتلقون كذلك "تدريبات جسدية وعسكرية"، وكأن الأمر كان يشير إلى أن هذه المجموعة ستصبح نواة الجيش الذي سيعتمد عليه رادين عند تأسيس مملكته[٢٢٢]. وفي الواقع كانت تلك المؤسسة هي بداية شهرة ديماك وتحولها إلى مدينة خصبة مزدهرة، وصلت شهرتها حتى ماجاباهيت، التي شعر ملكها براويجايا الخامس (١٤٦٨م–١٤٧٨م) بالسعادة والفخر

---

(221) Abdul Mujib, *Op. cit*., p. 68; Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 303;

بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٣٠، ٣٣٨.

(222) Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., P. 4; Nur Afidah, *Op. cit*., p. 68, 73; M. Nur Rokhman, *Op. cit*., p. 44.

لنجاح ابنه في اكتشاف هذه المنطقة وتطويرها، لذلك تم تعيينه مسئولا عن حكم المدينة[٢٢٣]. علاوة على ذلك، تأسست في بينتارا عام ٨٨١هـ/١٤٧٦م منظمة تسمى "بايانجكاري إصلاح"، التي كان أحد أهم أهدافها "دعم جهود التعليم والتدريس الإسلامي بطريقة منظمة، وهي تعد أول منظمة تعليمية إسلامية تشكلت في إندونيسيا"[٢٢٤].

ولا شك أن ما قام به رادين فتاح أول حاكم لديماك يدل على أن عملية "التعليم الإسلامي" في المملكة- وفي منطقة الأرخبيل بصفة عامة- قد حظيت باهتمام كبير من قبل الحكام أنفسهم، الذين أشرفوا على عملية بناء المؤسسات العلمية والانفاق عليها وتعيين المدرسين والدعاة، وهو أمر كان له أثره الإيجابي في نشر الثقافة والعلم داخل تلك المجتمعات[٢٢٥]. وعن قيمة ودور التعليم فيما حققته ديماك من نجاحات، يذكر أحد الباحثين أن تلك المملكة لم يكن لتعتمد في خطواتها التوسعية على الحروب والمعارك وحدها، وإنما كذلك من خلال تسلحها "بالقيم الدينية والإنسانية" المكتسبة عن طريق التعليم ومؤسساته[٢٢٦].

وفيما يخص نوعية الكتب الدينية التي كان يدرسها الطلاب في تلك المدارس الداخلية، فإن الروايات التاريخية لم تذكر لنا الشيء الكثير عن هذا الأمر؛ ولعله من المصادر التعليمية القليلة الباقية حتى الآن من تلك الحقبة كتاب يعرف باسم "أصول ٦ مكرر"، وهو عبارة عن مجلد مكتوب بخط اليد يحتوي على ٦ كتب تنسب لعلماء سمرقنديين، ومحتوياته تدور حول المعرفة الدينية الإسلامية المبكرة. وهناك كذلك كتاب

---

(223) Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., P. 4.

(224) Nur Afidah, *Op. cit*., p. 73.

(225) Muhammad Ilyas, "Planting the Character of Islamic Education During the Demak Kingdom and Its Relevance Today, in *Al-Hayat: Journal of Islamic Education (AJIE)*, Vol. 4, Issue 2, July - December 2020, p. 183.

(226) Muhammad Ilyas, *Op. cit*., p. 183.

آخر كان يدرس في هذه المؤسسة التعليمية، وهو تفسير الجلالين للشيخ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. هذا بالإضافة إلى وجود مجموعة من الكتب تعرف باسم "تصوف (سلوك) سونان بونانج، وسونان كاليجاغا، وجونونج جاتي"، وهي عبارة عن تعاليم صوفية إسلامية مكتوبة بخط اليد وتنسب لهؤلاء الأولياء. هذه الكتب كانت ترتكز على أساس أهل السنة والجماعة في العقائد، والمذهب الشافعي في الفروع، والإمام الغزالي وأمثاله من العلماء في جانب التصوف[٢٢٧].

مهما يكن من أمر، فإن تلك المدارس كانت هي مركز نشر التعاليم والتربية الإسلامية؛ وفيها كانت تدرس الفروع الثقافية المتنوعة مثل فلسفة الحياة والفن والأخلاق والعادات والعلوم التجريبية، "شريطة أن تكون مرتبطة وقائمة على الفكر والشرع الإسلامي". وكانت الطريقة التعليمية المتبعة تعتمد على اجتماع المعلم بطلابه في قاعات الدرس لعدة سنوات، كما كانت هناك دروس خاصة تقدم للطلاب الأكثر كفاءة وتميزا[٢٢٨]. وفي المجمل، لعبت بسنترين– رغم بساطة مناهجها– دورا بالغ الأهمية داخل مجتمع ديماك؛ فقد كانت أداة فعالة "في ترسيخ تعاليم الإسلام في نفوس المسلمين، وحفظها من الخرافات الهندوسية وأباطيل البوذية"[٢٢٩].

٥. انهيار مملكة ديماك:

تسببت العديد من الأحداث التي مرت بها ديماك في وقوع كثير من المشاكل والاضطرابات السياسية والاقتصادية داخل المملكة، وأدت في نهاية الأمر إلى تدهور

---

(227) Nur Afidah, *Op. cit*., p. 73; Muhammad Ilyas, *Op. cit*., p. 186;

نصر الله جاسام، *المرجع السابق*، ص ١٠٠.

(228) Abdul Wahid Hasyim, *Op. cit*., P. 8-9; Djoko Suryo, *Op. cit*., p. 9-10; Nur Afidah, *Op. cit*., p. 72.

[٢٢٩] **نصر الله جاسام، *المرجع السابق*، ص ١١١.**

أحوالها وانهيارها. وربما يمكننا إرجاع بداية الضعف الذي حل بالسلطنة إلى فترة حكم رادين فتاح، بعد فشل حملته العسكرية- التي كانت تحت قيادة ابنه باتي يونس- الموجهة ضد ملقا عام ٩١٨هـ/١٥١٣م من أجل تخليصها من أيدي البرتغاليين؛ فقد كانت تلك الهزيمة تعني سيطرة هؤلاء الأوربيين على ملقا وتجارتها بشكل كامل، وبالتالي فقدان أهم حليف تجاري لديماك في المنطقة، كما أن عددا ليس بالقليل من التجار- تحت الضغط البرتغالي- اضطروا إلى التوقف عن زيارة موانى ديماك [٢٣٠]. كما أنه في هذا السياق يشير تومي بيرس إلى أن هذه الحملة تسببت في "إفلاس خزينة المملكة"، وذلك نظرا للأموال الطائلة التي أنفقت لتجهيز الجيش وإعداد السفن، والتي بلغت قيمتها ما يزيد عن ١٠٠٠٠٠ كروزادو برتغالية. وقد اختصر لنا هذا المؤرخ الخسائر التي عادت على ديماك بعد تلك الهزيمة بقوله: "إن حاكم ديماك لم يكن ليستطيع العيش بدون الاعتماد على ملقا" [٢٣١]. من ناحية أخرى، بالرغم من أن حكام الموانى البحرية المسلمين كانوا قد انضموا إلى هجوم باتي يونس على ملقا، إلا أنه بعد تلك الهزيمة التي حلت بهم تقلصت قوتهم إلى حد كبير، وذلك بسبب تدمير سفنهم، وهذا الأمر دفع بعض هؤلاء الأمراء إلى تغيير سياستهم تجاه البرتغاليين، الذين وجدوا من الآن فصاعدا التحية والترحاب، وباتت سفنهم تدخل الموانى الجاوية بكل سلام؛ فعلى سبيل المثال لما قدمت السفن البرتغالية بقيادة جواو لوبيز في الموانى البحرية الجاوية عام ٩١٩-٩٢٠هـ/١٥١٣م حظيت باستقبال جيد[٢٣٢]. أما بالنسبة ليونس فقد هرب بعد تلك الهزيمة إلى جيبارا، وكان يأمل في وضع خطة للعودة للقتال ضد البرتغاليين في ملقا، ورغم أنه أعاد الهجوم مرة أخرى

---

(230) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 186; Slamet Muljana, *Op. cit*., p. 223; Ismail Nasution, *Op. cit.*, p. 4; Didin Saepudin, *Op. cit*., p. 4812; Maryam, *Op. cit*., p. 69.

(231) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 186.

(232) M. Meilink-Roelofsz, *Op. cit*., p. 147.

ضد ملقا عام ٩٢٧هـ/١٥٢١م، إلا أن تلك الحملة منيت كذلك بخسارة مماثلة، وظلت فكرة طرد البرتغاليين من المنطقة أمنية لدى حكام ديماك، لكنهم لم ينجحوا في تحقيقها على أرض الواقع(٢٣٣). وعلى ذلك فقد كان وصول البرتغاليين للمنطقة، ومن ثم سيطرتهم على ملقا عام ٩١٧هـ/١٥١١م ثم جزر الملوك لاحقا عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، يمثل ضربة قوية للسلطة في ديماك، حدت كثيرا من قدرتها على استمرار نفوذها السياسي والتجاري في منطقة الأرخبيل الشرقي وأدت إلى إلحاق ضررا جسيما باقتصادها، خاصة إذا ما علمنا أن الأموال المحصلة من خلال التجارة مع هاتين المنطقتين كانت تمثل المصدر الأهم في ميزانية ودخل المملكة(٢٣٤).

وبالإضافة إلى تلك الخسائر الاقتصادية والعسكرية التي تكبدتها ديماك على المستوى الخارجي، فإن الأمر الذي عجل بعملية انهيار المملكة هو ذلك الصراع الداخلي والفوضى السياسية التي نشأت نتيجة التكالب على كرسي حكم المملكة؛ إذ إنه بعد وفاة آخر حكامها الأقوياء الملك ترينجانا عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م- ووفقا لجميع الروايات التاريخية في جاوة الوسطى- تم تنصيب ابنه سوسوهونان براواتا Susuhunan Prawata حاكما للسلطنة(٢٣٥)، بيد أن هذا الأخير لم يكن قادرا على الحفاظ على وحدة أراضي المملكة، لذلك فإن العديد من المدن الإسلامية على طول الساحل الشمالي لجاوة بدأت تنفصل عن جسد السلطنة، وباتت تحكم بشكل مستقل عن السلطة المركزية في ديماك. وقد تفاقمت الأمور أكثر فأكثر بعد أن تورط براواتا في صراع مع منافسه آريا

---

(233) Agus Susilo, *Op. cit*., P. 73; Abdul Rohim, *Op. cit*., p. 72-73.

(234) Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 4; Slamet Muljana, *Op. cit*., p. 240.

(235) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 86; M. Nur Rokhman, *Op. cit*., p. 48.

والواقع أن لقب سوسوهونان Susuhunan- الذي كان يستخدمه الأولياء التسع في شكله المختصر سونان Sunan- يشير إلى أن سلطة هذا الملك مستمدة في المقام الأول من كونه مدافعا عن الدين. انظر:
H. De Graaf, *Op. cit*., p. 86.

جيبانغ Arya Jipang (آريا بينانجسانغ Arya Penangsang) وهو ابن رادين كيكين (أخو ترينجانا الذي كان ينازعه الحكم)[٢٣٦].

في سياق هذه الحرب الدموية، قدم حاكم ديماك الرابع براواتا- الذي درس مع كل من رادين سعيد (سونان كاليجاغا) وسونان قدوس- نفسه كحام للإسلام ومدافع عنه. وقد وصفه أحد الرحالة البرتغاليين[٢٣٧] بأنه كان لديه طموح في أن يصبح *segundo Turco* (التركي الثاني)، في إشارة إلى السلطان التركي سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) ونجاحاته ضد أسرة هابسبورغ Habsburg في أوروبا (حاليا سويسرا). ومع ذلك، سرعان ما اغتيل براواتا، ويقال إن هذا الأمر قد تم بتحريض من معلمه سونان قدوس، نظرا لحالة الحسد التي كانت بينه وبين معلم براواتا الثاني رادين سعيد[٢٣٨]. مهما يكن من أمر، فقد كانت نهاية براواتا وزوجته على يد أريا بينانجسانغ، الذي كان يحكم

---

(236) Taufik Abdullah, *Op. cit*., p. 189; Ismail Nasution, *Op. cit*., p. 4; Carool Kersten, *Op. cit*., p. 31; M. Nur Rokhman, *Op. cit*., p. 48.

[٢٣٧] في إحدى الرسائل التي كتبها البرتغالي مانويل بينتو وأرسلها من ملقا إلى رئيس أساقفة مدينة جوا البرتغالية على الساحل الهندي، بتاريخ ٧ ديسمبر ١٥٤٨م/٩٥٥هـ، يتضح أن الكاتب قد توقف في جاوة وهو في طريق عودته من جنوب سولاويزي إلى الغرب، وأجرى محادثات مع ملك هذه الجزيرة. ووفقا للتاريخ المذكور، فمن المرجح أن يكون الملك هو سوسوهونان براواتا. ومن بين موضوعات تلك الرسالة، يذكر مانويل بينتو أن الملك الجاوي كان يحاول تحويل جزيرة جاوة بأكملها إلى الإسلام، وإذا ما نجح في هذا الأمر فإنه سيصبح على قدم المساواة مع السلطان التركي سليمان الأول. انظر:

H. De Graaf, *Op. cit*., p. 88.

(238) Carool Kersten, *Op. cit*., P. 31; H. De Graaf, *Islamic States of* Java, p. 26.

تشير بعض الروايات الجاوية إلى أن ظهور التنافس بين سونان قدوس وسونان كاليجاغا يعود إلى أن الأمير براواتا- خليفة السلطان ترينجانا في ديماك- كان في البداية تلميذا لسونان قدوس، ثم اعترف لاحقا بسونان كاليجاغا كمعلم ومدرس له. ولما "كان اتخاذ الشخص (الطالب) لمعلمين اثنين في الوقت نفسه يعتبر خطيئة كبيرة" فإن سونان قدوس حرض "طالبه المحبوب أريا بينانغسانغ" صاحب جيبانغ، على قتل براواتا الذي كان آنذاك قد تبوأ منصب الحكم في ديماك. انظر:

H. De Graaf, Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa, p. 108

في جيبانغ *Jipang*، انتقاما لمقتل والده سابقا بأوامر من براواتا، وذلك عام ٩٥٦هـ/١٥٤٩م[٢٣٩]. إثر هذه الواقعة، بدأ يظهر على مسرح الأحداث صاحب باجانغ جاكا تينغكير Jaka Tingkir (أديباتي هاديويجايا Adipati Hadiwijaya) – وهو صهر السلطان رادين ترينجانا وقائد حرسه الشخصي– الذي يقال إنه قام بزيارة لأخت زوجته وأخت السلطان المقتول أميرة كالينياماتان (الواقعة في جيبارا)، التي كانت قد لاذت بالجبال وتنسكت حزنا على وفاة أخيها. وقد وعدت هذه الأميرة تينغكير– إن هو نجح في أخذ ثأرها بقتل أريا بينانجسانغ– بتنصيبه سلطانا على ديماك، وكذا على إمارتها في جيبارا، ومنحه جميع كنوز الملكة[٢٤٠].

ونظرا لأن الأمور داخل ديماك أصبحت على حافة الهاوية نتيجة لتلك الصراعات، فإن سونان كاليجاغا Sunan Kalijaga قرر مع سونان جيري Sunan Giri تفويض جاكا تينغكير كقائد أعلى لاستعادة الأمن داخل المدينة، وتولي قيادة الحكومة المؤقتة[٢٤١]. بعد تمكنه من القضاء على منافسه بينانجسانغ، أصبح تينغكير هو الحاكم الفعلي للسلطنة، واعترف به على الفور حكام المدن الواقعة على الساحل الشمالي وحكام شرق جاوة كملك وقائد أعلى للمملكة [٢٤٢]. لكن فيما يبدو أن مملكة جاوة الوسطى كانت قد شهدت نوعا من التمرد ضد ديماك، وحاولت مرة أخرى إحياء مملكة ماجاباهيت الوثنية، لذلك تذكر لنا الروايات الجاوية الجهود العسكرية والدبلوماسية التي

---

(239) H. De Graaf, Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa, p. 89-90; H. De Graaf, Islamic States of Java, p. 13; Didin Saepudin, Op. cit., pp. 4815-4816.

(240) Ali Romdhoni, *Op. cit.*, P. 12; Slamet Muljana, *Op. cit.*, p. 246; Didin Saepudin, *Op. cit.*, p. 4816; D. Hall, *Op. cit.*, p. 303-304; Maryam, *Op. cit.*, p. 70.

(241) Ismail Nasution, *Op. cit.*, p. 4; Achmad Fawaid *Op. cit.*, p. 79.

(242) H. De Graaf, *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa*, P. 91, 143.

بذلها تينغكير في الفترة من ٩٥٥هـ/١٥٤٨م إلى ٩٨٥هـ/١٥٧٧م من أجل إخضاع مدينة كديري ذات الأهمية الكبيرة، والتي ارتد حاكمها للوثنية. وقد نجحت تلك الجهود التي بذلها السلطان تينغكير في إعادة نفوذ ديماك مرة أخرى في منطقة جاوة الوسطى(٢٤٣).

مهما يكن من أمر، فإن العام ٩٧٥هـ/١٥٦٨م شهد حادثة مؤثرة في تاريخ ديماك؛ إذ إنه في هذه قام الملك تينغكير بنقل السلطة وجميع شئون الحكم إلى مقر مملكته الجديدة في باجانغ. ومنذ ذلك الوقت انحلت عرى مملكة ديماك، ونجحت سيريبون وبانتين وسورابايا في أن تتخلص من تبعية ديماك وتصبح إمارات مستقلة. كما أن هذا الحدث كان إيذانا بتحول ديماك إلى مجرد ولاية ثانوية تابعة لباجانغ، ومن ثم انتهاء الدور الريادي الذي ظلت تلعبه في تاريخ جاوة السياسي والاقتصادي لمدة تقارب تسعة عقود من الزمن(٢٤٤).

(243) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 184.

(244) H. De Graaf, *Op. cit*., P. 91; Ismail Nasution, *Op. cit*., pp. 4-5; Carool Kersten, *Op. cit*., p. 31; Didin Saepudin, *Op. cit*., p. 4816.

خاتمة البحث

من خلال هذه الدراسة التي تعرضت لتاريخ سلطنة ديماك الإسلامية من حيث النشأة والأوضاع السياسية والإدارية وبعض المظاهر الحضارية نستطيع أن نلخص أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث في النقاط التالية:

- تعد سلطنة ديماك ذات أهمية كبيرة في تاريخ وثقافة الشعب الجاوي، بحكم أنها تمثل خطا فاصلا في انتقال بلادهم من العصر الهندوسي البوذي القديم- الذي يمثله مملكة ماجاباهيت- إلى حقبة العصر الإسلامي الجديد. من هنا وجدنا اهتماما متزايدا من قبل المؤرخين والرواة الجاويين بتدوين تاريخ سلاطين هذه المملكة وفتوحاتهم.
- كان لديماك دور محوري في نشر الدين الإسلامي في كل أرجاء جزيرة جاوة وفي منطقة الأرخبيل بصفة عامة، واستطاعت بحق أن تسد الفراغ الذي أحدثه سقوط ملقا في يد البرتغاليين عام ٩١٧هـ/١٥١١م. فمن ديماك تم نقل الإسلام إلى منطقة لامبونج وبالمبنج وجامبي في سومطرة، وجزر سولاويزي، وبورنيو الشمالية، وجزر الملوك في الأرخبيل الشرقي، ومن هناك إلى ميندناو في جنوب الفلبين.
- كان هناك ارتباط وثيق بين حكام ديماك وبين علماء الدين الشهيرين في تاريخ جاوة الملقبين بالأولياء التسعة (وليسونجو)؛ فقد تقرب مؤسس السلطنة رادين فتاح ومن بعده ابنه ترينجانا من هؤلاء الأولياء، وأحسنوا معاملتهم وأقاموهم كمستشارين وموظفين. والواقع إن هذه العلاقة حققت فائدة كبيرة لكلا الطرفين؛ إذ إنها مكنت حكام ديماك من ترسيخ شرعيتهم ومكانتهم داخل مجتمعهم كسلاطين مؤيدين من قبل رجال الدين، أما هؤلاء الأولياء فقد كان لهم قصب السبق في نشر الإسلام في

جميع أرجاء السلطنة، كما أنهم اكتسبوا أهمية سياسية من خلال مشاركاتهم الفعالة في تسيير الحكم واتخاذ القرارات داخل البلاط الملكي في ديماك.

- عقب تمكنها من القضاء على مملكة ماجاباهيت الوثنية، نجحت ديماك في فرض نفوذها السياسي داخل كل جزيرة جاوة لتصبح هي الوريث الشرعي للملكة الهندوسية المنهارة. ولعل النجاح الكبير الذي حققه حكام ديماك آنذاك تمثل في إحكام سيطرتهم على عدد من المواني التجارية المهمة على السواحل الشمالية لجاوة، فضلا عن مد نفوذها إلى سواحل سومطرة وبورنيو، وهو الأمر الذي مكنها خلال سنوات معدودة من إقامة مملكة إسلامية واسعة الأرجاء.
- نجحت ديماك في أن تتبوأ مكانة تجارية مميزة في منطقة الأرخبيل، وقد تعاضدت عدة عوامل لتساهم في هذا الازدهار التجاري الذي شهدته السلطنة؛ من ذلك موقعها الجغرافي الاستراتيجي الرابط بين أهم مركزين بحريين في المنطقة، وهما ملقا وجزر الملوك. بالإضافة إلى امتلاك المدينة لميناء كبير وآمن لحركة التجارة والملاحة. كما أن المملكة كانت تتمتع بإمكانيات كبيرة ووفيرة في الموارد الطبيعية والمحاصيل الزراعية. هذا فضلا عن الجهود التي قام بها حكامها من أجل بناء علاقات وثيقة مع العديد من الدول التجارية الخارجية. دون أن ننسى كذلك الاستفادة التجارية الكبيرة التي تحققت لمواني ديماك بعد سقوط ملقا- الميناء التجاري الأهم في المنطقة- في يد البرتغاليين. وفي المجمل، لعبت الثروة الكبيرة التي جلبتها التجارة لديماك وللعديد من المدن الأخرى التي كانت تابعة لها دورا مهما في زيادة قوة ونفوذ تلك المملكة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية.
- مثل ظهور البرتغاليين في منطقة جنوب شرق آسيا خطرا كبيرا ومحققا على وجود القوى الإسلامية في منطقة الملايو والأرخبيل، وهو الأمر الذي جعل سلطنة ديماك- لكونها القوة الإسلامية الأهم في المنطقة- تحاول التصدي لهؤلاء الأوربيين عن

طريق إخراج الحملات العسكرية باتجاه ملقا، خاصة في عهد باتي يونس. ورغم الفشل الذي منيت به تلك الحملات وعدم التمكن من استعادة ملقا، وخسارة ذلك الممر التجاري المهم، إلا أنه بفضل جهود حكام ديماك فشلت محاولات البرتغاليين في نشر عقيدتهم المسيحية في جاوة والمناطق المجاورة لها، وظل الإسلام متجذرا ومهيمنا في جزيرة جاوة.

- مثلت وفاة السلطان ترينجانا عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م نقطة فارقة في تاريخ سلطنة ديماك؛ إذ إنه بعد وفاة هذا السلطان دخلت البلاد في مرحلة من الفوضى والصراعات للوصول لكرسي الحكم، وقد أدى هذا الضعف الذي عانت منه ديماك إلى انسلاخ عدد من المدن الساحلية من التبعية والخضوع لها، ومما زاد الطين بلة هو القرار الذي أقدم عليه حاكم السلطنة جاكا تينغكير عام ٩٧٥هـ/١٥٦٨م بنقل مقر الحكم إلى باجانغ في داخل جاوة، وهو الأمر الذي أدى لتحول ديماك إلى مجرد ولاية ثانوية، ومن ثم انتهاء الدور الريادي الذي ظلت تلعبه في تاريخ جاوة لمدة تسعة عقود.

ملحق (١)

اسم السلطان	سنوات الحكم
رادين فتاح (المؤسس)	٨٨٣-٩٢٤هـ/١٤٧٨م-١٥١٨م
باتي يونس	٩٢٤-٩٢٧هـ/١٥١٨م-١٥٢١م
ترينجانا	٩٢٧-٩٥٣هـ/١٥٢١م-١٥٤٦م
براواتا	٩٥٣-٩٥٦هـ/١٥٤٦م-١٥٤٩م
جاكا تينغكير	٩٥٦-٩٧٥هـ/١٥٤٩م-١٥٦٨م

قائمة بأسماء وسنوات حكم سلاطين ديماك

ملحق (٢)

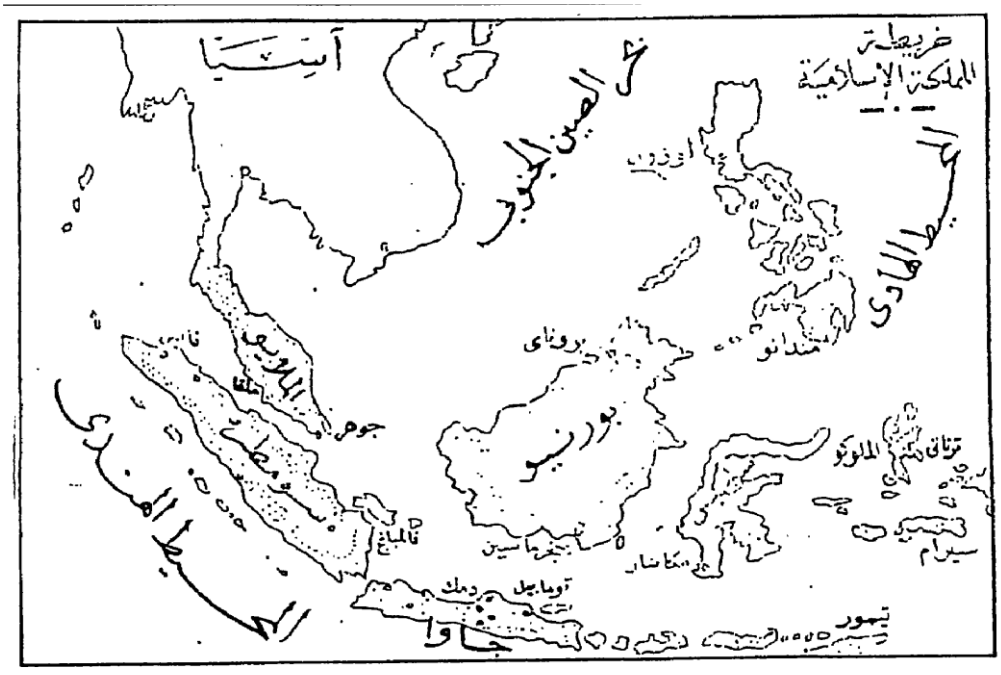

خريطة لديماك ولمدن وبلدان جنوب شرق آسيا مطلع القرن ١٠هـ/١٦م

نقلا عن: كرم حلمي فرحات، صفحة جديدة من حضارة الإسلام في إندونيسيا، مقال بمجلة المؤرخ العربي الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد ١١، المجلد ١، مارس ٢٠٠٣م.

ملحق (٣)

مسجد ديماك الكبير الذي تم بناؤه خلال القرن ١٥م

نقلا عن: A. Reid, *Asia Tenggara Dalam Kurun Niaga*

ملحق (٤)

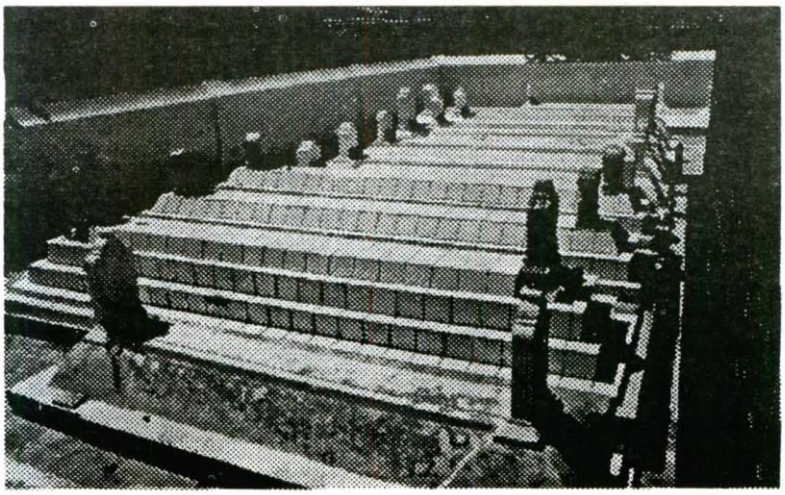

المقبرة الملكية لرادين فتاح وبعض أفراد أسرته

نقلا عن: S. Rahardjo, Kota *Demak sebagai Bandar dagang di jalur sutra*

ملحق (٥)

أحد منازل ديماك التقليدية

نقلا عن: S. Rahardjo, Kota *Demak sebagai Bandar dagang di jalur sutra*

ملحق (٦)

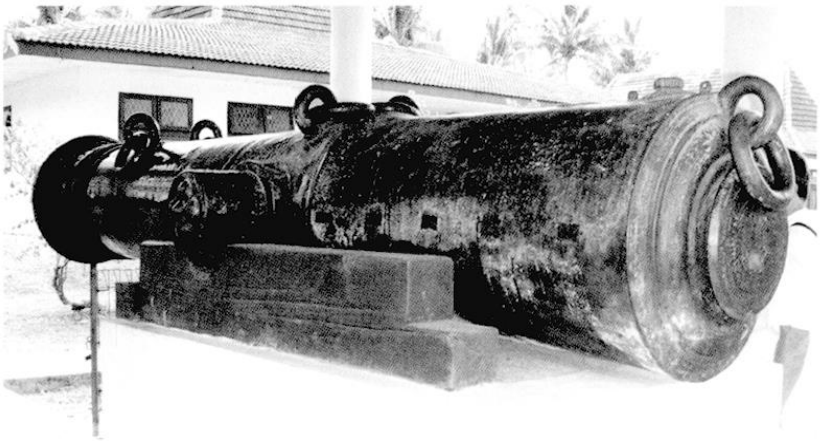

مدفع Ki Jimat المصنوع في ديماك والمهدى إلى حاكم بانتين

نقلا عن: C. Guillot, *Inscriptions islamiques sur des canons d'Insulinde*

المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية والمعربة:

أرنولد (توماس)، *الدعوة إلى الإسلام*، (ترجمه إلى العربية وعلق عليه) حسن إبراهيم حسن (وآخرون)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

جاسام (نصر الله)، "الإسلام في إندونيسيا بين الأصالة والتحريف"، مقال بمجلة *Islam Nusantara*، المجلد ٢، العدد ٢، يوليو ٢٠٢١م، (من ص ٩٣ إلى ص ١١٥).

الجعفري (بشار)، *أولياء الشرق البعيد، أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة (رواية تاريخية حول كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو)*، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م.

الحداد (علوي بن طاهر)، *المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى*، (رتبه وحققه وعلق عليه) السيد محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٥م.

السامر (فيصل)، *الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى*، إصدارات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧م.

شهاب (محمد ضياء)، *الإسلام في إندونيسيا*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٧٧م.

علي (محمد مهر)، "انتشار الإسلام في شمالي الهند وهضبة الدكن وجنوبي الهند، بنجلاديش، وغربي البنغال وجنوب شرق آسيا والصين"، فصل في: *الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي*، المجلد الأول (انتشار الإسلام)، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، (من ص ٢١٧ إلى ص ٣٥٣).

لابيدس (ايرا)، *تاريخ المجتمعات الإسلامية*، (ترجمة) فاضل جتكر، المجلد الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١م.

المصري (جمال عبد الله)، *حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة*، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٨م.

مينا (بوكاتجاندراساس)، "تجارة المسلمين البحرية وظهور الإسلام في اندونيسيا"، مقال *بمجلة ثقافة الهند*، المجلد ١٣، العدد ٣، تصدر عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، يوليو ١٩٦٢م، (من ص ٦٤ إلى ص ٧٠).

ثانيا: المصادر والمراجع الغربية:

Abdul Mujib, "Culture in Da'wa Wali Songo", in *Ri 'ayah*, Vol. 5, No. 1, Januari-Juni, 2020, pp. 65-72.

Al Qurtuby (Sumanto), "The Tao of Islam: Cheng Ho and the Legacy of Chinese Muslims in Pre-Modern Java", in *Studia Islamika*, Vol. 16, No. 1, 2009, pp, 51-78.

Ardiani (Yanita Mila) and Others, "Politics of Heritage in the Conservation of Demak Mosque, Indonesia", in *Proceedings of the 7th International Conference on Architecture, Materials and Construction*, Editors: Paulo Mendonça and Nuno Cortiços, Springer, 2022, pp. 464-471.

Brown (Colin), *A Short History of* Indonesia, Allen and Unwin, Crows Nest, Australia, 2003.

Couteau (Jean), "Bali et l'islam: Rencontre historique", in *Archipel*, Vol. 58, (Mélanges en hommage à Denys Lombard), 1999, pp. 159-188.

De Graaf (H. J.), *Islamic States in Java 1500-1700, Eight Dutch Books and Articles*, Springer, 1976.

--------, "South East Asian Islam to the eighteenth century", in *The Cambridge History of Islam*, Vol. 2A, Edited by: P. M. Holt, Cambridge University Press, 2008, pp. 123-154.

Fawaid (Achmad) and Others, "Islam Behind the Court Wall: Politics and Aesthetics of Javanese Islam in Babad Tanah Jawi", in *Advances in Social Science, Education and Humanities Research*, Vol. 644, Published by Atlantis Press SARL, 2022, pp. 76-84.

Guillot (Claude) and Kalus (Ludvik), "Inscriptions islamiques sur des canons d'Insulinde du XVIe siècle", in *Archipel*, volume 72, 2006, pp. 69-94.

-------- and Others, "La principauté de Banten Girang", in *Archipel*, Vol. 50, 1995, pp. 13-24.

Hall (D.), *A History of South-East Asia*, Published by: The Macmillan Press, London, 1981.

Hall (Kenneth R.), *A History of Early Southeast Asia: Maritime Trade and Societal Development, 100-1500*, Rowman and Littlefield Publishers, Lanham, Maryland, 2011.

Hannigan (Tim), *A Brief History of Indonesia: Sultans, Spices and Tsunamis*, Tuttle Publishing, Singapore, 2015.

Hasyim (Abdul Wahid), "Demak Sultanate: The Fortress of Islamic Greatness in the Middle Ages Java Island", in *Buletin Al-Turas*, Vol. 27, No. 1, January 2021, pp. 1-16.

Hendro (Eko Punto) and Others, "Demak Kingdom: Study of Environmental Condition and Geographical", in *E3S Web of Conferences 317, 04023, ICENIS*, 2021, pp. 1-10.

Ibrahim (A.), *The Malaysian Legal System*, Kuala Lampur, 1995.

Idham (Noor Cholis), "Javanese Islamic architecture: adoption and adaptation of Javanese and Hindu-Buddhist cultures in Indonesia", in *Journal of Architecture and Urbanism*, Vol. 45, Published by Vilnius Gediminas Technical University, 2021, pp. 9-18.

Ilyas (Muhammad), "Planting the Character of Islamic Education During the Demak Kingdom and Its Relevance Today, in *Al-Hayat: Journal of Islamic Education (AJIE)*, Vol. 4, Issue 2, July-December 2020, pp. 181-190.

Kersten (Carool), *A History of Islam in Indonesia*, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2017.

Kurniawan (Hendra), "The Role of Chinese in Coming of Islam to Indonesia: Teaching Materials Development based on Multiculturalism", in *Paramita: Historical Studies Journal*, 27 (2), 2017, pp. 238-248.

Lawrence (B.), "The Eastward Journey of Muslim Kingship: Islam in Southeast Asia" in *The Oxford History of Islam*, Edited by: J. Esposito, Oxford University Press, 1999, pp. 395-431.

Meilink-Roelofsz (M.), *Asian Trade and European Influence in the Indonesian Archipelago between 1500 and about 1630*, The Hague Martinus Nijhoff, Netherland, 1962.

Mills (J. V.), "Chinese Navigators in Insulinde about A.D. 1500", in *Archipel*, vol. 18, 1979, pp. 69-93.

Nasution (Ismail Fahmi Arrauf) and Himawan (Anang Haris), "Demak as the Maritime Kingdom on the North Coast of Java", in *Paramita: Historical Studies Journal*, 31 (1), 2021, pp. 1-12.

Orillaneda (Bobby), "Of Ships and Shipping: The Maritime Archaeology of Fifteenth Century CE Southeast Asia", in *Early Navigation in the Asia-Pacific Region (A Maritime Archaeological Perspective)*, Edited by Chunming Wu, Springer Science and Business Media, Singapore, 2016, pp. 29-58.

Pinto (Ferdinand Mendez), *The Voyages and Adventures of Ferdinand Mendez Pinto*, Done into English by Henry Cogan, With an Introduction by Arminius Vambery, London, 1897.

Pires (Tome), *The Suma Oriental of Tome Pires: Un account of the East, from the Red Sea to Japan, written in Malacca and India in 1512-1515, and the book of Francisco Prodrigues*, translated from the Portuguese MS in the bibliothèque de la chamber des Députés Paris, and edited by Armando Cartesao, Vol. 1, London, 1944.

Ricklefs (M. C.), *A History of Modern Indonesia Since c. 1200*, Palgrave, Hampshire, 2001.

Rokhman (M. Nur), "The emergence and development history of Demak Bintoro Kingdom", in *Journal of Social Studies (JSS)*, Vol. 12, No. 2, 2016, pp. 43-51.

Romdhoni (Ali) and Others, "Prawoto, The Authority Center of Demak Kingdom Sultanate", in *International Conference on Ummah: Digital Innovation, Humanities and Economy*, 2020, pp. 1-20.

Saepudin (Didin) and Irfani (Fahmi), "Islamization of Banten and The Fall of the Kingdom of Pajajaran", in *Journal of Positive School Psychology*, Vol. 6, No. 2, 2022, pp. 4808-4821.

Santosa (Nyong Eka), "The Myth of Religious Tolerance During the Expansion of Islamic Kingdoms in Java: From Demak Until Mataram", in *Arche: Indonesian Journal of Inter-Religious Studies*, Vol. 1, No. 2, 2012, pp. 63-82.

Sen (Tan Ta), *Cheng Ho and Islam in Southeast Asia*, Institute of Southeast Asian Studies, Singapore, 2009.

Setiadi (Hafid), "Islam and Urbanism in Indonesia: The Mosque as Urban Identity in Javanese Cities", in *The Changing World Religion Map (Sacred Places, Identities, Practices and Politics)*, Editors: Stanley Brunn, Springer, 2015, pp. 2415-2436.

Singgih (Tri Sulistiyono) and Others, "Capitalism Expansion and Local Adaptation: Maritime Trade Network on the North Coast of Java During the Early Modern Period", In *Jebat: Malaysian Journal of History, Politics and Strategic Studies*, Vol. 48 (1), (April 2021), pp. 71-95.

Sluglett (Peter), "The Spread of Islam in Southeast Asia c.1275 - c.1625", in *Middle East Insights*, Middle East Institute, National University of Singapore, No. 55, Mars 2012, pp. 1-7.

Suryo (Djoko), "commercialization and pasisir culture", in *Humaniora*, No. 3, 1996, pp. 1-11.

Taylor (Jean Gelman), *Indonesia: Peoples and Histories*, Yale University Press, London, 2003.

Wade (Geoff), "Islam Across the Indian Ocean to 1500 CE" in *Early Global Interconnectivity across the Indian Ocean World*, Volume II (Exchange of Ideas, Religions, and Technologies), Edited by Angela Schottenhammer, Palgrave Macmillan imprint, Switzerland, 2019, pp. 85-138.

Wain (Alexander), "China and the Rise of Islam on Java", in *Islamisation: Comparative Perspectives from History*, Edited by: A. Peacock, Edinburgh University Press, 2017, pp. 419-443.

Wink (Andre), *Al-Hind, The Making of the Indo-Islamic World*, Vol. III (Indo-Islamic Society 14th-15th Centuries), Brill, Leiden, 2004.

ثالثا: المراجع الإندونيسية:

Abdullah (Taufik), *Sejarah Kebudayaan Islam Indonesia (Akar Historis dan Awal Pembentukan Islam)*, Jilid 1, Direktorat Sejarah dan Nilai Budaya, Jakarta, 2015.

Afidah (Nur), "Perkembangan Islam pada Masa Kerajaan Demak", in *Jurnal Studi Islam dan Kemuhammadiyahan (JASIKA)*, Vol. 1, No. 1, 2021, pp. 64-76.

Annisa (Fitri) and Others, *Kerajaan-Kerajaan Islam dan Peran Para Ulama di Nusantara*, Diajukan Untuk Memenuhi Tugas Pada Mata Kuliah Sejarah Islam Indonesia II, Jurusan Seharah Dan Kebudayaan Islam, Fakultas Adab Dan Humaniora, Universitas Islam Negeri, Bandung, 2016.

De Graaf (H. J.) and Pigeaud (Th. G.), *Kerajaan-kerajaan Islam pertama di Jawa: kajian sejarah politik abad ke-15 dan ke-16,* Seri terjemahan Javanologi, Grafiti Press, Jakarta, 1985.

Maryam, "Transformasi Islam Kultural ke Struktural (Studi Atas Kerajaan Demak)", in *Tsaqofah dan Tarikh: Jurnal Kebudayaan dan Sejarah Islam*, Vol. 1, No. 1, Januari-Juni 2016, pp. 63-76.

Muljana (Slamet), *Runtuhnya Kerajaan Hindu-Jawa dan Timbulnya Negara-Negara Islam di Nusantara*, Yogyakarta, 2013.

Rahardjo (Supratikno), Kota *Demak sebagai Bandar dagang di jalur sutra,* Proyek lnventarisasi dan Dokumentasi Sejarah Nasional, Direktorat Jenderal Kebudayaan Departemen Pendidikan dan Kebudayaan, Jakarta, 1997.

Reid (Anthony), *Asia Tenggara Dalam Kurun Niaga 1450-1689, Jilid 2: Jaringan Perdagangan Global Asia Tenggara*, Pengantar: Asvi Warman Adam, Penerjemah: R. Leirissa, Yayasan Pustaka Obar Indonesia, Jakarta, 2011.

Rohim (Abdul), Perlawanan Kerajaan Demak terhadap Portugis 1513-1527 M, Skripsidiajukan Untuk Memenuhi Sebagian Syarat Memperoleh Gelar Sarjana Dalam Program Strata Satu Pada Jurusan Sejarah Peradaban Islam, Fakultas Adab Dan Humaniora, Universitas Islam Negeri Sunan Ampel, Surabaya, 2017.

Susilo (Agus) and Wulansari (Ratna), "Peran Raden Fatah Dalam Islamisasi di Kesultanan Demak Tahun 1478–1518", in Tamaddun: Jurnal Kebudayaan dan Sastra Islam, Vol. 19, No. 1, Juni 2019, pp. 70-83.

Syafrizal (Achmad), "Sejarah Islam Nusantara", in *Islamuna*, Vol. 2, No. 2, Desember 2015, pp. 235-253.

Abstract:

The Sultanate of Demak is considered one of the most important Islamic kingdoms that emerged in the Southeast Asian region. This importance was derived from two main factors: the first is the pioneering role it played in spreading the Islamic religion on the island of Java and the archipelago region in general, and it was able to fill the void created by the fall of Malacca in the hand of the Portuguese in 917 AH/1511 AD. Its religious leadership also forced it to enter into a military conflict with these Portuguese in order to regain Malacca. Although it failed in that mission, it succeeded in confronting the Portuguese Crusader project aimed at imposing political and religious hegemony in the region. The second factor in Demak's fame is its control over most of the cities on the northern coast of Java, thus giving it the ability to control trade routes. The great wealth that trade brought to Demak played an important role in increasing the power and influence of that kingdom, both economically and politically.

Keywords: Demak; Sultanate; Islam; Portuguese; Commerce.